# الغَـفْـلَة

## أسبابها، وآفاتها، وعلاجها

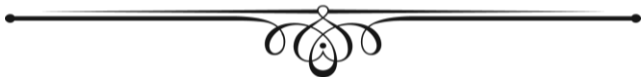

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٩٨٩٢

الترقيم الدولي: 978-977-6618-59-6

الناشر

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

٢٣ شارع محمد عبده - خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة: شارع الهادي - عزبة عقل - المنصورة

ت: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣ - ٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

٠٠٢٠١٠٩١٣٧٨٥٨٣

واتس/ ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

Dar_Elollaa@hotmail.com

# الغَفْلَة

## أسبابها، وآفاتها، وعلاجها


تأليف

الفقير إلى عفو ربه العزيز

**محمد بن هاشم عبد العزيز**

عَفَا اللهُ عَنْهُ



دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

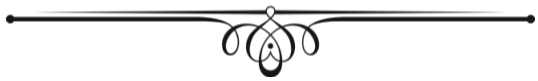

إلىٰ الذي أكرمني بخلقه ونصحه ومعاملته، إلىٰ الذي واساني بماله، إلىٰ من كان لي بفضل الله عونًا في كثير من الأمور في غربة وطن وأهل، إلىٰ والدي الروحي الأستاذ الكريم/ **حمزة عباس**.

**أقول له**: جزاك الله عني خير الجزاء، علىٰ ما أوليتني به من عناية واهتمام، ووالله مهما قلتُ فلن أوفيك حقك، وماذا عساي أقول؟

فأنت نعم الرجل أخلاقًا وتواضعًا وكرمًا. هكذا عرفتك ورأيتك أحسبك هكذا، ولا أزكيك علىٰ الله، فجزاك الله عني خير الجزاء، ولا حرمني الله من صحبتك، وجمعنا في الجنة وتحت ظلِّ عرشه اللهم آمين.

والدي الحبيب، اسمح لي بكلمات لعلها تعبر عن ما في داخلي، وتقبلها مني وأذن لي فيها.

حسبتك ذهبًا خالصًا فوجدتك أغلىٰ من الماسِ
ولسوف أبقىٰ بحبل الودّ متصلًا حتىٰ انقطاع أنفاسي
فاغفر لي تقصيرًا ما تعمدته يوما كفاك الله الشر والباس
وأيم الله سألهج بالدعاء دومًا بل وأكتبه بكراسي
وما كتبت شعرًا قبل لحظته وما عرفت به ولكن ذاك إحساسي

فاقبل كلماتي ولكن اعلم أنها عجزت أمام حبّي وإعزازي
وأسأل ربي ألّا يريك مكروهًا في دنياك ولا في محشر الناس
وأن يسقيك من حوض كوثره بيد درة الرسل والناس

# مقدمة المؤلف

الْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الدُّجَىٰ وَالصَّبَاحِ وَمُسَبِّبِ الْهُدَىٰ وَالصَّلاحِ، وَمُقَدِّرِ الْغُمُومِ وَالأَفْرَاحِ، الْجَائِدِ بِالْفَضْلِ الزَّائِدِ وَالسَّمَاحِ، عَزَّ فَارْتَفَعَ، وَفَرَّقَ وَجَمَعَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ، وَحَرَّمَ وَأَبَاحَ، مَلَكَ وَقَدَرَ، وَطَوَىٰ وَنَشَرَ، وَخَلَقَ الْبَشَرَ وَفَطَرَ الأَشْبَاحَ، رَفَعَ السَّمَاءَ وَأَنْزَلَ الْمَاءَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ وَذَرَىٰ الرِّيَاحَ، أَعْطَىٰ وَمَنَحَ، وَأَنْعَمَ وَمَدَحَ وَعَفَا عَمَّنِ اجْتَرَحَ وَدَاوَىٰ الْجِرَاحَ، عَلِمَ مَا كَانَ وَيَكُونُ، وَخَلَقَ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ، وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ والركون في الغد وَالرَّوَاحِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِعَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ عَنْ أَدِلَّةٍ صِحَاحٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُقَدَّمُ وَرَسُولُهُ الْمُعَظَّمُ، وَحَبِيبُهُ الْمُكَرَّمُ، تَفْدِيهِ الأَرْوَاحُ.

**أما بعد:**

فإنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ أن يعيش الإنسان في صحبة كتاب الله سبحانه وتعالىٰ، كما أن الشرف كل الشرف أن يعيش المرءُ خادمًا لكتاب ربِّه، ولا يخفىٰ أن القرآن هو المنهاج الذي ارتضاه الله للناس، وبيَّن الله سبحانه وتعالىٰ أن القرآن نور قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء:١٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا

مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].

ووضَّح ربُّنا أن القرآن هدىٰ وشفاء قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت:٤٤].

- ولقد أمرنا ربُّنا بتدبر القرآن الكريم فقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

**ومن هنا أقول:** وأنا أتدبر القرآن الكريم كما أمرني ربي وخالقي سبحانه وتعالىٰ، استوقفني قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء:١]، ولفت نظري هذا الحديث الشريف، عن أُسَامَة بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ،**

**وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»**.(١) وخصوصًا قول الرسول: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ**».

وتساءلت في نفسي كان الناس يغفلون عن شهر شعبان في زمان الرسول ﷺ، فهل الناس اليوم يغفلون عن شهر شعبان فقط؟

**والجواب**: إن الناس اليوم يغفلون ويتغافلون عن أشياء كثيرة، منها ما يفسد عليهم دينهم ودنياهم، بل ويخسرون به آخرتهم.

- وكذلك أثناء إعدادي لكتاب «فتح المنان»، وتحديدًا عند حديثي عن سورة الأعراف استوقفتني هذه السورة الكريمة لأنها تتحدث عن مقصد هو: «احسم موقفك ولا تكن سلبيًّا»:

- و السورة الكريمة جاءت لتحذرنا من السلبية، ولتوضح لنا أنه علينا أن نحسم مواقفنا في هذه الحياة، ونكون من المؤمنين الناجين يوم القيامة، ولا نكون كأصحاب الأعراف.

**وختمت حديثي عن سورة الأعراف بالآتي:**

١ - علينا الابتعاد عن السلبية.

٢ - علينا أن نحسم مواقفنا من الآن لأننا نريد أن ندخل الجنة بإذن الله ولا نريد أن نكون مذبذبين لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء وعلينا أن لا يثنينا عن نصرة الحق لا خجل ولا عدم مبالاة أو قلة اكتراث أو ضعف.

---

(١) سنن النسائي: (٢٣٥٧)، السلسلة الصحيحة: (١٨٩٨).

٣ – الغفلة من أهم أسباب التردد والسلبية فعلينا أن نسعىٰ لليقظة بكل صورها ونحذر أن نكون من الغافلين.

٤ – الغافل قد يكون أسوأ من العاصي، فالعاصي قد يتوب كما فعل سحرة فرعون أما الغافل فقد يتمادىٰ في غفلته إلىٰ حين لا ينفع معه الندم ولا العودة. [﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

٥ – ختام السورة يركز في موضوع البعد عن الغفلة وحسم الأمر قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

٦ – السجدة في الآية الأخيرة كأنما جاءت لتزيد في النفس الاستعداد للحسم فربما بهذه السجدة يستيقظ الغافل من غفلته، ويحسم السلبي موقفه إذا عرف بين يدي من يسجد فيعود إلىٰ الحق قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦]. إلخ.....

**ومن هنا:** وقفت في هذه الصفحات وقفات مع الغفلة، تكلمت فيها عن هذه النقاط:

١ – أسباب الغفلة.

٢- أهم الأمور التي نغفل عنها.

٣- آفات الغفلة وأضرارها.

٤- العلاج من الغفلة.

- وكنت حريصًا علىٰ أن يكون كلامي دون إسهاب ممل، ولا اختصار مُخِل، وأسأل الله أن تكون هذه الكلمات نافعة لكاتبها وقارئها وناشرها بين يدي الله سبحانه وتعالىٰ.

**عملي في هذه الصفحات:**

انطلقت مستعينا بالله طالبًا منه العون والمدد والتوفيق وقمت بالآتي:

١- جعلت تحت كل موضوع عدَّة عناصر، أتكلم عنها وأوضحها.

٢- كنتُ حريصًا علىٰ أن يكون حديثي من كلام الله ومن كلام رسول الله ﷺ، وبعد ذلك أذكر بعض الأقوال من كلام السلف الصالح.

٣- عزوت الآيات إلىٰ مواضعها في القرآن الكريم ذاكرًا اسم السورة ورقم الآية.

٤- قمت بتخريج الأحاديث، فأذكر من روىٰ الحديث من أئمة هذا الشأن، وإن كان في البخاري ومسلم أو في أحدهما اكتفيت، وإن كان في غيرهما أذكر من رواه وخرجه مستصحبًا ذكر كتاب آخر يوضح درجة الحديث من صحة أو ضعف أو..... وهذا في الأعم الغالب.

٥- القصص والمواقف لها أثر في النفوس، ولهذا في بعض المواضيع

كنت حريصًا علىٰ ذكر المواقف من كتب التاريخ المعتبرة، مع حرصي علىٰ انتقاء ما يتوافق مع العقل الصحيح والمنهج القويم دون شطط أو زيغ أو مغالاة.

٦- كما ذكرت في بعض الأحيان من كلام الشعراء والأدباء ما يخدم الموضوع، مع حرصي علىٰ انتقاء ما كتبت من شِعْرٍ يساعد ويخدم الموضوع.

وبعد هذا لا أستطيع أن أدّعي أنني جئت بما لم يأت به أحد وإنما هذا جهد المقل، وأسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذه الكلمات كاتبَها وقارئَها وناشرَها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يجعلها لي ذخرًا وزادًا في يوم لقياه إنه سميع قريب مجيب.

وأسأل الله أن يجازي عني أساتذتي خير الجزاء، فهم أهل فضل ومنّة.

وأسأل ربي سبحانه وتعالىٰ أن يرحم أمّي الغالية الحبيبة كما ربتني صغيرًا، وأن يمتعها بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، وأن يجمعها مع النبي ﷺ في الجنة.

- كما أسأله سبحانه أن يبارك لي في زوجتي الكريمة (أم نور) وأن يجزيها عني خير الجزاء.

- وأسأل الله أن يحفظ لي هبته الغالية ابنتي الحبيبة (نور) التي أسأل الله أن ينبتها نباتًا حسنًا، وأن تكون قرة عين لي في الدنيا والآخرة، كما أسأل الله

لها السِّتر في الدنيا والآخرة هي وجميع بنات المسلمين.

وأسأل الله برحمته أن يحفظ بلاد المسلمين وأهل الإسلام.

- ثم أقول إن هذا العملَ عملٌ بشري يعتريه ما يعترىٰ الإنسان من نقص.

- وأُشهد الله ﷻ أنّ كل خطإٍ وقعت فيه في كلامي أو في كتاباتي يخالف الصواب والمنهج الصحيح فأنا راجع عنه في حياتي وبعد مماتي.

✍ **وأختم قائلًا:**

وليس يضرني وقوف أهل المعرفة علىٰ ما لي من التقصير، ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير، فلئن أخطئ فمن الذي عُصِم؟! ولئن أُخَطَّا فمن الذي وُصِمَ؟!

وأعلمُ أن الخطأ والزلل، هما الغالبان علىٰ من خلق الله من عجل، فإن أصبتُ فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأتمثل قول الشاعر:

لقد مضيت وراء الركب ذا عَرَجٍ ... مؤمِّلًا جبر ما لاقيتُ من عَرَج
فإن لحقتُ بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورىٰ في الناس من فرِجِ
وإن ضللتُ بقفر الأرض منقطعًا ... فما علىٰ أعرج في الناس من حَرَجِ

أسأل الله أن ينفعني وإخواني من طلاب العلم بهذا العمل، وأن يخلص نيتي فيه لوجهه، فإن القلوب بيده وأن لا يجعل لأحد من خلقه فيه نصيبًا وأن

ينفعني به يوم ألقاه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]. وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين..

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

**كتبه ببنانه ورضيه بجنانه**

**الفقير إلى عفو ربّه العزيز**

**محمد هاشم عبد العزيز**

**يوم الاثنين ٣ ذو القعدة ١٤٣٩هـ**

**الموافق ١٦يوليو ٢٠١٨م**

**٠٠٢٠١٠٠٣٠٦٢٠٦٥**

# أسبـــاب الغـفـــلة

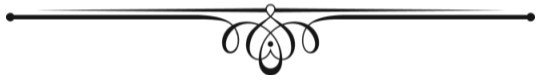

## ١ - الدنيا أهم أسباب الغفلة:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧- ٨]

فالله بيّن في هذه الآية أن الرضا بالدنيا، والاطمئنان لها، سبب في الغفلة عن آيات الله، والغفلة جماع المصائب وبؤرة الحرمان. فإلىٰ متىٰ الغفلة؟

إلىٰ متىٰ الغفلة؟ وها هو الموت يتخطف الناس يمنة ويسرة، فلا يكاد يمضي يوم إلا والمستشفيات تودع رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، والمقابر تستقبلهم.

الذين يتشاغلون وهم في غفلة لأجل ماذا هذه الغفلة؟ ولأي غاية هذه الغفلة؟

نجد الجواب بلسان الحال أو بلسان المقال. إن الغفلة من أجل الدنيا.

ألم يعلم أهل الغفلة أن انشغالهم بأمر الدنيا يشتت عليهم أمورهم؟ ويجعل الفقر بين أعينهم؟ ولا يزيد لهم في قسمة الله التي قسمها لهم من أرزاقهم؟

ولو أنهم جعلوا الهم والغاية والمنىٰ والقصد في مرضاة الله ﷻ لجُمِعَ

لهم كلُ ما تشتت، وجعلت الدنيا تتبعهم ذليلة، وهذا مصداقًا لحديث الرسول ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**».(١)

وقال ﷺ في هذا: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**».(٢)

### التحذير من الافتتان بالدنيا والركون إليها:

إِنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارُ التواء لا دَارُ استواء، ومَنزل تَرَح، لا منزل فَرَح، مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَح لِرَخَاءٍ، وَلَمْ يحزَن لشقاء أَلا وَإِنَّ الله ﷻ خلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَىٰ، والآخرةَ دَارِ عُقْبَىٰ فجعلَ بَلْوَىٰ الدُّنْيَا لِثوابِ الآخرةِ سَبَبًا وَثَوَابَ الآخرة مِنْ بَلْوَىٰ الدُّنْيَا عِوَضًا، فيأخذ لِيُعْطي، وَيُبْتَلىٰ لِيَجْزي، إِنَّهَا لَسَرِيعَةُ الذَّهَابِ، وَشِيكَةُ الانْقِلاب، فاحْذَرُوا حَلاوَةَ رِضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَاهْجُرُوا لَذِيذَ عَاجِلِهَا لِكَرِيهِ آجِلِهَا وَلا تَسْعَوا فِي عُمْرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَىٰ الله خَرَابَهَا وَلا تُوَاصِلُوهَا، وَقَدْ أَرَادَ الله مِنْكُمْ اجْتِنَابِهَا، فتكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِينَ، وَلِعُقُوبَتِه مُسْتَحِقِّينَ.

واعلم علم اليقين الذي لا يخالطه شك أن حب الدنيا رأس كل خطيئة:

**عن سفيان الثوري قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ** عليه السلام: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ

(١) سنن ابن ماجه: (٢٥٧)، صَحِيح الْجَامِع: (٦١٨٩).
(٢) سنن ابن ماجه: (٤١٠٥)، السلسلة الصحيحة: (٩٥٠).

خَطِيئَةٍ، وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَثِيرٌ، قِيلَ: يَا رَوْحَ اللهِ: مَا دَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ قَالُوا: فَإِنْ أَدَّىٰ حَقَّهُ؟ قَالَ: لَا يَسْلَمُ مِنَ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ، قَالُوا: فَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ؟ قَالَ: يَشْغَلُهُ اسْتِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ .(١)

✍ **وعن الحسن قال**: يَقُولُ: «وَاللهِ لَقَدْ عَبَدَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَصْنَامَ بَعْدَ عِبَادَتِهِمْ لِلرَّحْمَنِ تَعَالَىٰ بِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا».(٢)

✍ **وعن إبراهيم بن أدهم قال**: « لَيْسَ مِنْ أَعْلَامِ الْحُبِّ أَنْ تُحِبَّ مَا يُبْغِضُ حَبِيبُكَ ذَمَّ مَوْلَانَا الدُّنْيَا فَمَدَحْنَاهَا وَأَبْغَضَهَا فَأَحْبَبْنَاهَا وَزَهَّدَنَا فِيهَا فَآثَرْنَاهَا وَرَغِبْنَا فِي طَلَبِهَا وَعَدَكُمْ خَرَابَ الدُّنْيَا فَحَصَّنْتُمُوهَا وَنُهِيتُمْ عَنْ طَلَبِهَا فَطَلَبْتُمُوهَا وَأُنْذِرْتُمُ الْكُنُوزَ فَكَنَزْتُمُوهَا دَعَتْكُمْ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَرَّارَةِ دَوَاعِيهَا فَأَجَبْتُمْ مُسْرِعَيْنِ مُنَادِيهَا، خَدَعَتْكُمْ بِغُرُورِهَا وَمَنَّتْكُمْ فَأَنْفَدْتُمْ خَاضِعِينَ لِأُمْنِيَّتِهَا، تَتَمَرَّغُونَ فِي زَهَوَاتِهَا وَتَتَمَتَّعُونَ فِي لَذَّاتِهَا وَتَتَقَلَّبُونَ فِي شَهَوَاتِهَا، وَتَتَلَوَّثُونَ بِتَبَعَاتِهَا تَنْبُشُونَ بِمَخَالِبِ الْحِرْصِ عَنْ خَزَائِنِهَا، وَتَحْفُرُونَ بِمَعَاوِلِ الطَّمَعِ فِي مَعَادِنِهَا، وَتَبْنُونَ بِالْغَفْلَةِ فِي أَمَاكِنِهَا وَتُحَصِّنُونَ بِالْجَهْلِ فِي مَسَاكِنِهَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِهِ، وَتَحُطُّوا رِحَالَكُمْ بِقُرْبِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ وَأَنْتُمْ غَرْقَىٰ فِي بِحَارِ الدُّنْيَا حَيَارَىٰ تَرْتَعُونَ فِي زَهَوَاتِهَا، وَتَتَمَتَّعُونَ فِي لَذَّاتِهَا، وَتَتَنَافَسُونَ فِي غَمَرَاتِهَا فَمِنْ جَمْعِهَا مَا تَشْبَعُونَ وَمِنَ التَّنَافُسِ فِيهَا مَا تَمَلُّونَ، كَذَبْتُمْ وَاللهِ أَنْفُسَكُمْ وَغَرَّتْكُمْ، وَمَنَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ، وَعَظَتْكُمْ بِالْتَوَانِي حَتَّىٰ لَا تُعْطُوا الْيَقِينَ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَالصِّدْقَ مِنْ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٦/ ٣٨٨).
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٢/ ١٥٦).

نِّيَاتِكَمْ وَتَتَنَصَّلُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَسَاوِئِ ذُنُوبِكُمْ وَتُعْصُوهُ فِي بَقِيَّةِ أَعْمَارِكِمْ أَمَّا سَمِعْتُمُ اللهَ، تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص:٢٨] لَا تُنَالُ جَنَّتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَلَا تُنَالُ وِلَايَتُهُ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَعَدَّ الْمَغْفِرَةَ لِلْأَوَّابِينَ، وَأَعَدَّ الرَّحْمَةَ لِلتَّوَّابِينَ، وَأَعَدَّ الْجَنَّةَ لِلْخَائِفِينَ، وَأَعَدَّ الْحُورَ لِلْمُطِيعِينَ، وَأَعَدَّ رُؤْيَتَهُ لِلْمُشْتَاقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] مِنْ طَرِيقِ الْعَمَىٰ إِلَىٰ طَرِيقِ الْهُدَىٰ ». (١)

✍ **وعن إبراهيم بن بشار قال:** مَا رَأَيْتُ فِيَ جَمِيعِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ الْعُبَّادِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالزُّهادِ أَحَدًا يُبْغِضُ الدُّنْيَا وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ رُبَّمَا مَرَرْنَا عَلَىٰ قَوْمٍ قَدْ هَدَمُوا حَائِطًا أَوْ دَارًا أَوْ حَانُوتًا فَيُحَوِّلُ وَجْهَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَيْهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ فَعَاتَبْتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا ابْنَ بَشَّارٍ اقْرَأْ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود:٧]، ولَمْ يَقُلْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِمَارَةً لِلدُّنْيَا وَأَكْثَرُ حُبًّا وَذُخْرًا وَجَمْعًا لَهَا ثُمَّ بَكَىٰ وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ عَزَّ اسْمُهُ فِيمَا يَقُولُ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولَمْ يَقُلْ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْمُرُوا الدُّنْيَا وَيَجْمَعُوا الْأَمْوَالَ وَيَبْنُونَ الدُّورَ وَيُشِيدُونَ الْقُصُورَ وَيَتَلَذَّذُونَ وَيَتَفَكَّهُونَ وَيَجْعَلُ يَوْمَهُ أَجْمَعَ يُرَدِّدُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٨/ ٢٤).

لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].(١)

✍ **وعن شقيقٍ البلخي** قال: « عَمِلْتُ فِي الْقُرْآنِ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّىٰ مَيَّزْتُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ، فَأَصَبْتُهُ فِي حَرْفَيْنِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ ﴾ [القصص:٦٠]» (٢)

✍ **وعن فضيل بن عياض قال**: «لَيْسَتِ الدَّارُ دَارَ إِقَامَةٍ وَإِنَّمَا أُهْبِطَ آدَمُ إِلَيْهَا عُقُوبَةً أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ يَزْوِيهَا عَنْهُ وَيُمْرِرُ عَلَيْهِ بِالْجُوعِ مَرَّةً وَبِالْعُرْيِ مَرَّةً وَبِالْحَاجَةِ مَرَّةً كَمَا تَصْنَعُ الْوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ بِوَلَدِهَا تَسْقِيهِ مَرَّةً حَضِيضًا وَمَرَّةً صَبْرًا وَإِنَّمَا تُرِيدُ بِذَلِكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ». (٣)

✍ **وعن الفيض بن إسحاق**: «اشْتَرَيْتُ دَارًا وَكَتَبْتُ كِتَابًا وَأَشْهَدْتُ عُدُولًا فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي فَلَمْ أَذْهِبْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ فَمَرَرْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: يَا ابْنَ يَزِيدَ بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ دَارًا وَكَتَبْتَ كِتَابًا وَأَشْهَدْتَ عُدُولًا، قُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا يُسْلِمُكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصًا فَانْظُرْ أَنْ لَا تَكُونَ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكِ، أَوْ وَرِثْتَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَتَكُونُ قَدْ خَسِرْتَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَلَوْ كُنْتَ حِينَ اشْتَرَيْتَ كَتَبْتَ عَلَىٰ هَذِهِ النُّسْخَةِ: هَذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَزْعَجَ بِالرَّحِيلِ اشْتَرَىٰ مِنْهُ دَارًا تُعْرَفُ بِدَارِ الْغُرُورِ حَدٌّ مِنْهَا فِي زُقَاقِ الْفِنَاءِ إِلَىٰ عَسْكَرِ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٨/ ٤٠).
(٢)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٨/ ٦٠).
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٨/ ٩٠).

الْهَالِكِينَ وَيَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدِّ الْأَوَّلِ يَنْتَهِي مِنْهَا إِلَىٰ دَوَاعِي الْعَاهَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي مِنْهَا إِلَىٰ دَوَاعِي الْآفَاتِ وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الْهَوَىٰ الْمُرْدِي وَالشَّيْطَانِ الْمُغْوِي وَفِيهِ يَشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنَ عَزَّ الطَّاعَةِ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ فَمَا أَدْرَكَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَعَلَىٰ مُبَلْبَلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعَنَةِ مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرٍ وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرٍ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ فَأَكْثَرَ وَاتَّحَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ الْوَلَدِ وَمَنْ بَنِي وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَأَشْخَصَهُمْ إِلَىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ إِذَا نَصَبَ اللهُ ﷻ كُرْسِيِّهِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ يَشْهَدُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسَرِ الْهَوَىٰ وَنَظَرَ بِالْعَيْنَيْنِ إِلَىٰ زَوَالِ الدُّنْيَا وَسَمِعَ صَارِخَ الزُّهْدِ عَنْ عَرَصَاتِهَا مَا أَبْيَنَ الْحَقَّ لِذِي عَيْنَيْنِ إِنَّ الرَّحِيلَ أَحَدُ الْيَوْمَيْنِ فَبَادِرُوا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فَقَدْ دَنَا النُّقْلَةُ وَالزَّوَالُ» (١).

**وعن يحيىٰ بن معاذ قال**: «الدُّنْيَا أَمِيرُ مَنْ طَلَبَهَا وَخَادِمُ مَنْ تَرَكَهَا، الدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ، فَمَنْ طَلَبَهَا رَفَضَتْهُ، وَمَنْ رَفَضَهَا طَلَبَتْهُ، الدُّنْيَا قَنْطَرَةُ الْآخِرَةِ، فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا، لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ بُنْيَانُ الْقُصُورِ عَلَىٰ الْجُسُورِ، الدُّنْيَا عَرُوسٌ وَطَالِبُهَا مَاشِطَتُهَا، وَبِالزُّهْدِ يُنْتَفُ شَعْرُهَا، وَيُسَوَّدُ وَجْهُهَا، وَيُمَزَّقُ ثِيَابُهَا، وَمَنْ طَلَّقَ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ زَوْجَتُهُ، فَالدُّنْيَا مُطَلَّقَةُ الْأَكْيَاسِ لَا تَنْقَضِي عِدَّتُهَا أَبَدًا، فَخَلِّ الدُّنْيَا وَلَا تَذْكُرْهَا، وَاذْكُرِ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَهَا، وَخُذْ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٨/ ١٠١).

مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبَلِّغُكَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَمْنَعُكَ الْآخِرَةَ». (١)

فالكيِّس الفطِن هو الذي يجعل نصبَ عينيه أن الدّنيا دارُ اختبارٍ وبلاء، وأنّها مزرَعةٌ للآخرة، وأن الله تعالىٰ استخلفنا فيها فينظر كيف نعمل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**». (٢)

وما يزرعه النّاس فيها اليومَ يحصدوه غدًا في الآخرة إن شاء الله تعالىٰ، فمن زرع الطاعة رجا المغفرة، ومن زرع الشوك لا يجني عنبًا، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، وهي صائرةٌ إلىٰ فناءٍ وزوال، قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

### ذم الدنيا وبيان حقارتها وضرب المثل لها في القرآن:

إن الذي يُمْعِنُ النظر في كتاب الله تعالىٰ والسنة الصحيحة إذا تفكَّر جليا وتأمل مليا يعلم علم اليقين الذي لا يخالطه شك أن الله قد ذم الدنيا والرغبة فيها، ومدح الزهد فيها والتقلل منها والآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة، ومنها:

* قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (١٠/ ٥٣).
(٢) صحيح مسلم: (٢٧٤٢).

ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد:٢٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس:٢٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد:٢٠]

* ثم ضرب الله مثلًا فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠] هذه هي الآخرة، إما عذاب شديد في نار جهنم، أو مغفرة ورضوان في جنات النعيم.

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٣٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم:٢٩ - ٣٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد:٢٦].

* وقال تعالىٰ في وصف الدنيا: ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر:٣٩].

* وحذر ربنا سبحانه من فتنة الأموال والأولاد، فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال:٢٨].

* ونهىٰ جل وعلا عن النظر إلىٰ ما في أيدي الناس ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه:١٣١].

* وذم الله ﷻ أهل الدنيا الذين تشبثوا بها وتركوا الآخرة، وآثروا الذي يفنىٰ علىٰ الذي يبقىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القيامة:٢٠ - ٢١].

* وحذر ربنا من الاغترار بالدنيا فقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر:٥]، فلنحذر الحياة

الدنيا فإنها غرارة خداعة.

### ذم الدنيا في حديث الرسول ﷺ :

- ها هو رسول الله ﷺ يرتسم علىٰ لسانه نظرته إلىٰ الدنيا بقوله: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرْكَهَا**». (١)

- وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». (٢)

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» (٣) .

- وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». (٤)

ومن رأىٰ تهافت الناس علىٰ الدنيا وانكبابهم علىٰ جمع حطامها من حلال وحرام، تذكر ما رواه عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ**

---

(١) مسند أحمد: (٣٧٠٩). وانظر: صحيح الجامع: (٥٥٥٥).

(٢) سنن الترمذي: ( ٢٣٢٠). وانظر: السلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٦).

(٣) قال الإمام النووىٰ / : قوله صلىٰ الله عليه وسلم: " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " معنىٰ الحَدِيث لاتركن إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ فِيهَا وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ وَقَالَ غَيْرُهُ عَابِرُ السَّبِيلِ هُوَ الْمَارُّ عَلَىٰ الطَّرِيقِ طَالِبًا وَطَنَهُ.انظر: فتح الباري: (١١/ ٢٣٤).

(٤) صحيح البخاري: (٦٤١٦).

**يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ** » ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤]. (١)

ومن تعلق بالدنيا الزائفة، وجرىٰ في اللهث وراء المادة، فإن ذلك ربما يصرفه عن الطاعة، والعبادة، وعن تأدية الواجبات في وقتها، وعلىٰ أتم وجه وأكمله.

- قال ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**». (٢)

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**». (٣)

- وعَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾ [التكاثر:١]، قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟** » (٤)

---

(١) مسند أحمد: ( ١٧٣١١). وانظر: السلسلة الأحاديث الصحيحة (٤١٣).
(٢) سنن ابن ماجه: (٤١٠٥). وانظر: السلسلة الصحيحة: (٩٥٠).
(٣) صحيح مسلم: (٢٩٥٦).
(٤) صحيح مسلم: (٢٩٥٨).

- وعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، يَقُولُ: **«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»**. (١)

### متاع الدنيا يسحب من رصيد الآخرة:

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَىٰ لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»**. (٢)

نفهم من هذا الحديث أن الذين يغزون فيغنمون ويسلمون استعجلوا ثلثي أجرهم، أي: ضيعوا الثلثين من الأجر في الدنيا، فلم يبق لهم في الآخرة إلا الأجر القليل.. فالذي أخذته من الدنيا كم ضيعت في مقابله من الآخرة؟.. إن كل ما تأخذه من الدنيا مخصوم من حسابك في الآخرة.

أخذت من الدنيا مالًا أو سيارة أو....أو.... فهذا كله مخصوم من نعيم الآخرة.

ولا يستوي في الآخرة الفقير مع الغني، وإن دخل الغني الجنة، لا يستويان أبدا. قال تعالىٰ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ﴾ [الأحقاف:٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر:٨].. فكل ما أوتيته من متاع الدنيا فهو بالخصم من نعيمك في

(١) سنن ابن ماجه: (٢٥٧). وصححه في مشكاة المصابيح: (٦٦).
(٢) صحيح مسلم: (١٩٠٦).

الآخرة.

وهذا ما قال به عمر بن الخطاب: مَرَّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مُعَلِّقًا لَحْمًا عَلَىٰ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا جَابِرُ؟» قَالَ: «هَذَا لَحْمٌ اشْتَرَيْتُهُ اشْتَهَيْتُهُ» قَالَ: «أَوَ كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟ أَمَا تَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف:٢٠]؟» (١).

✍ **وقال الغزالي**: بقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشىٰ أن يقال له يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم﴾ [الأحقاف:٢٠] وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخر بشهواته.

فحقيقة الدنيا أنها مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة؛ لأن الليل مهما طال فلابد بعده من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد بعده من دخول القبر.(٢)

### ٢ - طول الأمل من أسباب الغفلة:

إن من أسباب الغفلة طول الأمل (عدم تذكر الموت)، **قال القرطبيّ**: الأمل: الحرص علىٰ الدّنيا والانكباب عليها، والحبّ لها والإعراض عن الآخرة. (٣)

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل: (ص: ١٠٢).

(٢) من أراد التوسع في الحديث عن الدنيا فليرجع إلىٰ كتاب: (رسائل ربانية في آيات قرآنية) لكاتب هذه الكلمات غفر الله له.

(٣) تفسير القرطبي: (١٠/ ٤).

✍ **وقال المناويّ**: الأمل: توقّع حصول الشّيء، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله.(١)

أمّا طول الأمل: فهو الاستمرار في الحرص علىٰ الدّنيا ومداومة الانكباب عليها مع كثرة الإعراض عن الآخرة. (٢)

ولقد حذرنا الله من طول الأمد فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد:١٦]، يعني أن طول الأمد وطول العهد يقسي القلب، فيتعود القلب أن يسمع الأحاديث والآيات ولا ينفعل بها، ويتعود أن يعرف أدلة غض البصر وأدلة وجوب الحجاب وتحريم مصافحة الأجنبية ثم نتيجة كون السلوك ينفصم عن الالتزام بهذه الأشياء نجد القلب يموت، فهل ينفع الضرب في حديد بارد؟ لا ينفع، لا بد من أن ينصهر هذا الحديد ويلين، فهذا القلب القاسي لا ينتفع بالمواعظ، ولا ينفعل بها، والموعظة مثل الصقر لا يسقط علىٰ جيفة بل لا بد من أن يصطاد الشيء الحي، فكذلك الموعظة لا تسقط إلا علىٰ القلب الحي فينتفع بها، أما القلب الغافل فلا ينتفع بها.

---

(١) التوقيف: (٦٢).

(٢) اقتبس هذا التعريف من أقوال اللغويين وعلماء الاصطلاح في كل من الأمل والطول.

### الفرق بين الأمل والطّمع والرجاء:

**قال المناويّ**: من عزم علىٰ سفر إلىٰ بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت، لأنّ الطّمع لا يكون إلّا في القريب، والأمل في البعيد، والرّجاء بينهما، لأنّ الرّاجي يخاف ألّا يحصّل مأموله. (١)

**قال ابن حجر**: وفي الأمل سرّ لطيف لأنّه لولا الأمل ما تهنّىٰ أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدّنيا، وإنّما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلّف بإزالته. (٢)

### دوافع طول الأمل:

**قال الإمام الغزاليّ** رحمه الله: اعلم أنّ طول الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخر: حبّ الدنيا.

**أمّا حبّ الدّنيا**: فهو أنّه إذا أنس بها وبشهواتها ولذّاتها وعلائقها ثقل علىٰ قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الّذي هو سبب مفارقتها، وكلّ من كره شيئا دفعه عن نفسه.

والإنسان مشغوف بالأمانيّ الباطلة، فيمنّي نفسه أبدا بما يوافق مراده، وإنّما يوافق مراده البقاء في الدّنيا، فلا يزال يتوهمّه ويقدّره في نفسه ويقدّر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودوابّ وسائر

---

(١) التوقيف: (١٢).

(٢) فتح الباري: (١١/ ٢٤١).

أسباب الدّنيا، فيصير قلبه عاكفا علىٰ هذا الفكر موقوفا عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدّر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلىٰ الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال: الأيّام بين يديك إلىٰ أن تكبر ثمّ تتوب، وإذا كبر فيقول: إلىٰ أن تصير شيخًا.

فإذا صار شيخًا قال: إلىٰ أن تفرغ من بناء هذه الدّار وعمارة هذه الضّيعة. أو ترجع من هذه السّفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الّذي يشمت بك. فلا يزال يسوّف ويؤخّر، ولا يخوض في شغل إلّا ويتعلّق بإتمام ذلك الشّغل عشرة أشغال أخر، وهكذا علىٰ التّدريج يؤخّر يوما بعد يوم ويفضي به شغل إلىٰ شغل بل إلىٰ أشغال إلىٰ أن تختطفه المنيّة في وقت لم يحسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النّار وصياحهم من سوف، يقولون: واحزناه من سوف. والمسوّف المسكين لا يدري أنّ الّذي يدعوه إلىٰ التّسويف اليوم هو معه غدًا، وإنّما يزداد بطول المدّة قوّة ورسوخا، ويظنّ أنّه يتصوّر أن يكون للخائض في الدّنيا والحافظ لها فراغ قطّ وهيهات، فما يفرغ منها إلّا من طرحها. فما قضىٰ أحد منها لبانته وما انتهىٰ أرب إلّا إلىٰ أرب.

وأصل هذه الأماني كلّها حبّ الدّنيا والأنس بها والغفلة عن معنىٰ قوله ﷺ: «**وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ**». (١)

(١) المعجم الأوسط (٤٢٧٨)، وصحيح الجامع: (٧٣). ولفظه: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**».

**وأمّا الجهل**: فهو أنّ الإنسان قد يعوّل علىٰ شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشّباب، وليس يتفكّر المسكين أنّ مشايخ بلده لو عدّوا فكانوا أقلّ من عشر رجال البلد، وإنّما قلّوا لأنّ الموت في الشّباب أكثر، فإلىٰ أن يموت شيخ يموت ألف صبيّ وشابّ. وقد يستبعد الموت لصحّته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أنّ ذلك غير بعيد، وإن كان ذلك بعيدًا، فالمرض فجأة غير بعيد، وكلّ مرض فإنّما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا.

ولو تفكّر هذا الغافل وعلم أنّ الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكنّ الجهل بهذه الأمور وحبّ الدّنيا دعواه إلىٰ طول الأمل وإلىٰ الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبدًا يظنّ أنّ الموت يكون بين يديه ولا يقدّر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظنّ أنّه يشيّع الجنائز ولا يقدّر أن تشيّع جنازته، لأنّ هذا قد تكرّر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأمّا موت نفسه فلم يألفه، ولم يتصوّر أن يألفه فإنّه لم يقع، وإذا وقع في دفعة أخرىٰ بعد هذه، فهو الأوّل وهو الآخر.

### علاج طول الأمل:

وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنّه لا بدّ وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعلّ اللّبن الّذي يغطّي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض. وإذا عرفت أنّ سببه الجهل وحبّ الدّنيا فعلاجه دفع سببه.

أمّا الجهل فيدفع بالفكر الصّافي والحكمة البالغة.

وأمّا حبّ الدّنيا، فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الّذي أعيا الأوّلين والآخرين علاجه؛ ولا علاج له إلّا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثّواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حبّ الدّنيا، فإنّ حبّ الخطير هو الّذي يمحو عن القلب حبّ الحقير. فإذا رأىٰ حقارة الدّنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلىٰ الدّنيا كلّها، وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلىٰ المغرب، وكيف وليس عنده من الدّنيا إلّا قدر يسير مكدّر منغّص، فكيف يفرح بها أو يترسّخ في القلب حبّها مع الإيمان بالآخرة؟ فنسأل الله تعالىٰ أن يرينا الدّنيا كما أراها الصّالحين من عباده.

### بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

اعلم أنّ النّاس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأمل البقاء، ويشتهي ذلك أبدا. قال الله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦].

ومنهم من يأمل البقاء إلىٰ الهرم وهو أقصىٰ العمر الّذي شاهده ورآه وهو الّذي يحبّ الدّنيا حبّا شديدا. قال رسول الله ﷺ: «**قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَىٰ حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولُ الْحَيَاةِ، وَحُبُّ الْمَالِ**». (١)

ومنهم من يأمل إلىٰ سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدّر لنفسه وجودا في عام قابل، ولكنّ هذا يستعدّ في الصّيف للشّتاء وفي الشتاء للصّيف. فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة.

---

(١) صحيح مسلم: (١٠٤٦).

ومنهم من يأمل مدّة الصّيف أو الشّتاء، فلا يدّخر في الصّيف ثياب الشّتاء ولا في الشّتاء ثياب الصّيف.

ومنهم من يرجع أمله إلىٰ يوم وليلة، فلا يستعدّ إلّا لنهاره وأمّا للغد فلا. قال عيسىٰ عليه السلام: لا تهتمّوا برزق غد. فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتمّوا لآجال غيركم. (١)

✍ **أيها القارئ الكريم:**

☝ **انتبه:** لقد سُمع بعضُ المُحْتَضَرِين عند احتضاره يلطم علىٰ وجهه ويقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

✍ **وقال آخر عند احتضاره:** سخرت بي الدنيا حتىٰ ذهبت أيامي.

✍ **وقال آخر عند موته:** لا تغرنَّكم الحياة الدنيا كما غرتني وقال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١٠- ١١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤] وفسره طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله: بأنهم طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها قال

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨٦) بتصرف.

الحسن: اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت.

✍ **وقال ابن السماك**: احذر السكرة والحسرة أن يفجأك الموت وأنت علىٰ الغرة فلا يصف واصف قدر ما تلقىٰ ولا قدر ما ترىٰ. (١)

### ٣ - فتنة النساء سبب للغفلة:

خلق الله ﷻ الإنسان ضعيفًا، يقول تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨]. خلقه ضعيفًا في كل شيء، فلا يستطيع أن يقاوم وساوس الشيطان.

وليس بمقدوره أن يقاوم نفسه وشهواتها.

ضعيفًا أمام المال والنساء والشهرة والأضواء.

ضعيفًا في جسمانه..

ضعيفًا أمام سلطان النوم..

ضعيفًا أما أصغر الفيروسات.

فالأصل في الإنسان الضعف، وكل مظهر من مظاهر مقاومته لهذه الأشياء فهي بفضل وإعانة من الله ﷻ، ولو تركه لضعفه ما قاوم نظرة محرمة، ولا مالًا حرامًا، ولا مرضًا من الأمراض: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ

(١) لطائف المعارف لابن رجب: (ص: ٣٣٨)، إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨٦) بتصرف.

مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور:٢١]. ولكننا كثيرًا ما ننسىٰ هذه الحقيقة، فترىٰ الواحد منا يصدق نفسه بأنه يستطيع مقاومة فتنة النساء.

### تحذير الشرع من خطر الفتنة بالنساء:

كان الإشفاق من وبال هذه الفتنة أشد ما خامر قلب رسول الله ﷺ، وأشد ما أشفق منه علىٰ أمته، وفي سبيل تحذير هذه الأمة من خطر هذه الفتنة ألقىٰ علىٰ السابقين الأولين من المسلمين كلمته خالدة: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هجرته إلىٰ الله ورسوله، فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْه**». (١)

بين لنا ﷺ في هذا الحديث كيف أن الافتتان بالمرأة قد يؤدي إلىٰ إحباط عمل من أفضل ما يتقرب به إلىٰ الله ﷻ، ألا وهو الهجرة إلىٰ الله سبحانه، وإلىٰ رسوله ﷺ.

وأشار القرآن الكريم إلىٰ خطر فتنة المرأة فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤] فقدم سبحانه وتعالىٰ علىٰ رءوس هذه الفتن كلها فتنة النساء لعراقتهن في هذا الباب؛ ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة، ولعله لأجل ذلك أيضًا قدم الله

(١) البخاري: (١)، ومسلم: (١٩٠٧).

سبحانه وتعالىٰ المرأة علىٰ الرجل في قوله ﷻ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢]؛ لأن دواعي الفتنة قد تكون من جانب المرأة إذا تساهلت أكثر منها من جانب الرجل، في حين قدم الرجل في السرقة لأنه هو الحريص علىٰ جمع المال؛ لأنه المسئول عن النفقة فقدم سبحانه وتعالىٰ الرجل فقال: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة:٣٨]، أما في الزنا فإن الخلل إذا أتىٰ من قبل المرأة تكون الفتنة أشد.

وقال سبحانه وتعالىٰ حاكيًا عن عزيز مصر قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف:٢٨].

وحذر رسول الله ﷺ من فتنة المرأة ونصح لأمته في هذا الباب أعظم النصح فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّساء**». (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**». (٢)

✍ **قال بعض العلماء**: المعنىٰ المتبادر من هذا الحديث أنه ما دامت المرأة في خدرها لم يطمع الشيطان فيها لإغواء الناس، فإذا خرجت المرأة من بيتها الذي هو قرارها ومستقرها طمع فيها الشيطان وأطمع فيها الناس؛ لأنها حبائله.

---

(١) البخاري: (٥٠٩٦)، ومسلم: (٢٧٤٠).
(٢) سنن الترمذي: (١١٧٣)، صحيح الجامع: (٦٦٩٠).

وقوله ﷺ: «**اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» أصل الاستشراف وضع الكف فوق الحاجب حينما تريد أن تنظر إلىٰ شيء بعيد.

✍ **يقول المنذري**: يستشرفها الشيطان أي: ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهم بها؛ لأنها قد تعاطت سببًا من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها.

وهذا في حق شياطين الجن، فما بالك بشياطين الإنس في هذا العصر الذين هم أضر علىٰ المرأة من ألف شيطان جني، حيث إن أغلب هؤلاء الشباب لا مروءة عندهم ولا دين ولا شرف، ويتعرضون للنساء بشكل مفجع وهيئة تدل علىٰ خساسة ودناءة وانحطاط، فلا شك أن فتنة هؤلاء الشباب بهذه المرأة إذا خرجت -خاصة إذا كانت متبرجة- شديدة.

✍ وعَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود، قَالَ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا، وَمَا بِهَا مِنْ بَأْسٍ فَيَسْتَشْرِفُ لَهَا الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِهِ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَلْبَسُ ثِيَابَهَا، فَيُقَالُ: أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ فَتَقُولُ: أَعُودُ مَرِيضًا، أَوْ أَشْهَدُ جِنَازَةً، أَوْ أُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، وَمَا عَبَدَتِ امْرَأَةٌ رَبَّهَا مِثْلَ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا». (١)

فأعظم أنواع العبادة وأعلىٰ درجات الثواب للمرأة أن تعبد ربها داخل حدود بيتها، كما أمر الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن العظيم: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب:٣٣].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: (٨٩١٤)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٣٤٨.

**فتنة نساء بني إسرائيل:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «**لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**». (١)

أوغل بنو إسرائيل في المعاصي، وتفنن نساؤهم في فتنة الرجال؛ لذلك حذرنا النبي ﷺ من هذه الفتنة، وقرن هذه الأمة ببني إسرائيل مباشرة؛ لأنها أكبر الأمم التي سبقتنا، والقرآن يربط بين موسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبين هذه الأمة وبني إسرائيل.

وعلىٰ أي الأحوال فإن نساء بني إسرائيل أوغلن في المعصية، ومن مظاهر تفنن نساء بني إسرائيل في فتنة الرجال ما أخبر به ﷺ في قوله: «**كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا**» وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ. (٢)

يعني جعلت في هذا الخاتم مسكًا ثم جعلت له شيئًا مثل الغطاء فإذا مرت بمجلس رجال وأرادت أن تفتنهم حركت هذا الغطاء، فينشر ريحه في الجو لتفتن بهذا الطيب الرجال.

---

(١) صحيح مسلم: (٢٧٤٢).
(٢) صحيح مسلم: (٢٢٥٢).

أيضًا هذه المرأة كانت قصيرة، وكانت ستظهر قصيرة إذا مشت مع امرأتين طويلتين، فاتخذت رجلين من خشب، وهو يشبه ما يسمىٰ الآن بالكعب العالي، حتىٰ تبدو طويلة، وهي في الحقيقة قصيرة.

### ٤ - الوسط المحيط سبب للغفلة:

إذا أردنا أن نستيقظ من الغفلة فلننظر إلىٰ الوسط والمحيط والمجتمع الذي نخالط أصحابه ونتقلب فيه، فإن كان فيه خير خرجنا من الغفلة إلىٰ خير، وإن كان فيه شر فنحن كمن رام تغسيل الدم النجس بالدم، من غفلة إلىٰ غفلة، ومن معصية إلىٰ معصية.

**والسؤال**: كيف نريد السلامة من البلل ونحن نرمي بأنفسنا ذات اليمين وذات الشمال في المياه؟

إن من تعود في منزله المعصية، ومع جلسائه المعصية، وفي سيارته المعصية، وفي عمله المعصية، وفي علاقاته المعصية، وفي سمته وسلوكه المعصية كيف يريد أن يسلم من الغفلة؟

### ضرورة تغيير بيئة المعصية:

من أراد أن يسلم من الغفلة فليخرج من الوسط الذي يحاط بالمعاصي، وليبحث عن قومٍ يخالطهم، وعلاقات يجددها في غير معصية الله، تعينه علىٰ طاعة الله، تذكره إذا نسي، تعينه إذا ذكر، ولنا في قصة القاتل الذي قتل مائة نفس عبرة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا،**

**فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»**، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَىٰ بِصَدْرِهِ.

والشاهد في الحديث علىٰ خطورة الوسط والبيئة المحيطة بالإنسان ما قاله العالم للرجل القاتل: **انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ**.... فالمكان الذىٰ يسكنه أهل السوء والمعصية، يكون له التأثير السلبىٰ علىٰ من يعيش معهم، فليحذر المسلم من جلساء السوء ومن الصحبة الفاسدة، لأنها حسرة وندامة يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

ويحذرنا من صحبة من لا خير في صحبته فقال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ

ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء:١٤٠].

## الآثار المترتبة على مجالسة أهل السوء، وهي كثيرة:

**أولاً:** أنه يصرف صاحبه وجليسه من الطاعة إلىٰ المعصية، ويزيِّن له عمل السوء؛ روىٰ البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَاللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]. (١)

(١) صحيح البخاري: (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم: (٢٤)، واللفظ له.

**ثانيًا:** أن غالب مجالس أهل الفسق لا يذكر الله تعالىٰ فيها، بل يُعصىٰ جلَّ وعلا، فتكون حسرة وندامة علىٰ أصحابها يوم القيامة. روىٰ الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً**(١)؛ **فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**». (٢)

**قال الشافعي:**

إذا لَـمْ أَجِـدْ خِـلًّا تَقِيًّـا فَوِحْـدتي ... أَلـذُّ وأشـهىٰ مـن غَـوِيٍّ أُعَاشِـرهُ
وَأَجْلِـسُ وَحْـدِي للعِبَـادَةِ آمِنًـا ... أَقَـرُّ لِعَيْنِـي مِـنْ جَلِـيسٍ أُحَـاذِرُه

**ثالثًا:** أن الجليس السوء يدعو جليسه إلىٰ مماثلته في الوقوع في المحرَّمات، ويخفِّف وقع المعصية في قلبه، ويهوِّن عليه التقصير في الطاعة، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(٣). (٤)

---

(١) أي حسرة وندامة.

(٢) ص: ٥٣٥ برقم ٣٣٨٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم: (٢٦٢٨).

(٤) يقول صاحب «فتح المنعم» في تعليقه علىٰ هذا الحديث: عدوىٰ الأخلاق السيئة كعدوىٰ الأمراض ومجالسة الصالحين حماية من السيئات لأن مجلسهم يخلو من الذنوب بل وتحفه ملائكة الرحمة ويقول الله لملائكته عنهم وقت ذكرهم لله أشهدكم يا ملائكتي أني غفرت لهم فيقولون يا ربنا إن فيهم فلانًا ليس منهم وإنما =

**قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان** رضي الله عنه: «ودَّت الزانية لو زنىٰ النساء كلهن».

وجليس السوء ينصرف عن صاحبه عند أدنىٰ خلاف أو فوات مصلحة، بل وتحصل البغضاء بعد ذلك، قال عبدالله بن المعتز: إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويقبلون مع النعمة.

**علامة الجليس السوء:**

١- مضيّع لأوامر الله.

٢- معطِّل لفرائض الله.

٣- بعيد عن الطريق المستقيم.

٤- سيئ الأخلاق.

---

= جاء لحاجة من أحدهم فيقول لهم هم القوم لا يشقىٰ جليسهم نعم فجليسهم إما أن يذكر الله معهم وإما أن يستمع لذكرهم وإما يشمله نور مجلسهم تماما كالجلوس بجوار حامل المسك وبائعه إما أن تشتري منه فتحمل معك ما ينفعك وإما أن يهديك لمسة من مسكه وإما أن تنتفع فترة جواره بالريح الطيبة، أما مجالسة أهل الشر والفساد فهي كمجالسة الحداد الذي ينفخ في الكير ليصنع الحديد فيتطاير منه الشرر فيحرق ثيابك أو يصيبك دخانه وريحه الخبيثة ومجالسة أهل الشر والفساد إما أن يعديك شرهم فيسحبك إلىٰ الفساد في الأرض وإما أن تسمع منهم ما يضر ولا ينفع فتحيط بك الشياطين كما تحيط بهم وإما علىٰ الأقل أن يضعك الناس في حزبهم وسمعتهم وإن لم تكن منهم ولا علىٰ طريقتهم ومنوالهم ورحم الله امرأ أحب الصالحين وأهل الخير وجالسهم وكره الفاسدين وأهل الشر فجانبهم.
انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ١٢٧).

٥- عاق للآباء.

٦- قاطعٌ للرحم.

٧- مُؤذٍ للجار.

٨- سيئ الصحبة.

٩- ذو غيبة ونميمة.

١٠- يطعن في الناس.

١١- يفترئ الكذب علي الناس.

١٢- إن حدَّث لم يصدق في حديثه.

١٣- إن وعد لم يوف بوعده.

١٤- إن رُكِن إليه لم ير الراكن إليه إلا سرابًا.

١٥- علاقته بالناس علاقة مادية، وعلاقة مصلحية. (١)

وهذا هو الجليس السيئ الذي لا خير فيه.

(١) لأنه متئ ما فقد المصلحة من صاحبه ولَّاه ظهره، فلا يسمع له شكاية، ولا ينصحه في حاجة، إذا ضاقت به الأحوال والظروف تخلئ عن صاحبه في أحرج حالة يكون فيها، ذلك أنه لا خير فيه، خان الله في أمانته، فليس بالبعيد أن يخون صاحبه فيما ائتمنه عليه.

## أهم الأمور التي نغفل عنها

### أولاً: الغفلة عن الغاية التي خلق من أجلها الإنسان:

لماذا خلق الإنسان؟ هذا سؤال يجب أن يسأله الإنسان لنفسه فيقول: لماذا خلقت في هذه الحياة؟

والجواب عن هذا السؤال عند المؤمنين حاضر: إن كل صانع يعرف سر صنعته لماذا صنعها؟ ولماذا صنعها علىٰ نحو معين دون غيره؟

والله تعالىٰ هو صانع الإنسان وخالقه ومدبر أمره، فلنسأله: يا رب لماذا خلقت هذا الإنسان؟

والجواب من كتاب الله كتاب الخلود أنه خلقه ليكون خليفة في الأرض، وهذا واضح في آدم وما كان من تمني الملائكة لمنزلته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

وأول شيء في هذه الخلافة أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ويعبده حق عبادته قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وفي هذه الآية جعلت معرفة الله هي الغاية من خلق السموات والأرض.

ويقول تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

إن المتأمل في هذا الكون الذي نعيش فيه يرىٰ كل شيء فيه يحيا ويعمل لغيره، فنحن نرىٰ أن الماء للأرض، والأرض للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن؟ هذا هوا السؤال.

والجواب الذي تنادي به الفطرة، وتنطق به مراتب الكائنات في هذا الكون: أن الإنسان لله لمعرفته، ولعبادته، للقيام بحقه وحده.

ولا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر في الأرض أو في الأفلاك، لأن كل العوالم العلوية والسفلية مسخرة له، وتعمل في خدمته كما هو مشاهد، فكيف يكون هو لها أو يعمل في خدمتها؟

ومن هنا كانت عبادة الإنسان لقوىٰ الطبيعة ومظاهرها من فوقه ومن تحته، كالشمس والقمر والنجوم والأنهار والأبقار والأشجار ونحوها، قلبًا للوضع الطبيعي، وانتكاسًا بالإنسان أي انتكاس!

والإنسان إذن بحكم الفطرة ومنطق الكون، إنما هو لله سبحانه لا لغيره، لعبادته وحده، لا لعبادة بشر ولا حجر، ولا بقر ولا شجر، ولا شمس ولا قمر، وكل عبادة لغير الله إنما هي تزيين من تزيين الشيطان عدو الإنسان.

النداء الأول في كل رسالة: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره:

هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذي أخذه الله علىٰ بني الإنسان، وسجله بقلم القدرة في فطرهم البشرية وغرسه في طبائعهم الأصيلة، منذ وضع في رءوسهم عقولًا تعي، وفي صدورهم قلوبًا تخفق، وفي الكون حولهم آيات تهدي قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

هذا العهد بين الله وعباده هو الذي صوره القرآن في روعة وبلاغة حين قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٣].

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم، وإزالة ما تراكم علىٰ معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد.

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول: قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالىٰ بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١- ٥٢].

## ثانيًا: الغفلة عن يوم القيامة:

* قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم:٣٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١- ٢].

- وفي هذه الآية ينبه الله تعالىٰ علىٰ اقتراب الساعة ودنوها فيقول: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ [الأنبياء:١].. أي قرب زمان حساب الناس علىٰ أعمالهم في الدنيا، وهو اقتراب الساعة، ولكن الناس في حياتهم ساهون غافلون، لاهون معرضون عن التأهب للحساب، والتفكر بالآخرة، بالمبادرة إلىٰ الإيمان.

والمراد بالناس في رأي ابن عباس المشركون منكرو البعث، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٢] إلىٰ قوله: ﴿ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٣] وذلك للإشارة إلىٰ أن البعث لا ريب فيه.

والظاهر أن لفظ الآية يتناول عموم الناس، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش، بدليل ما بعد ذلك من الآيات، فتكون الآية لوقف الأطماع، والحث علىٰ الإقبال علىٰ الإيمان، فمن علم اقتراب الساعة، بادر إلىٰ التوبة، ولم يركن إلىٰ الدنيا، فكل آت قريب، والموت لا محالة آت، وموت كل إنسان قيام ساعته، والقيامة أيضا قريبة بالنسبة إلىٰ ما مضىٰ من الزمان. قال الرازي: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ مَنْ لَهُ مَدْخَلٌ فِي الْحِسَابِ وَهُمُ الْمُكَلَّفُونَ دُونَ مَنْ لَا مَدْخَلَ لَهُ.

ثم استدل الله تعالىٰ علىٰ غفلة الناس، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٢-٣] أي ما يأتي أولئك الكفار من قريش وأشباههم من قرآن جديد إنزاله، ينزل سورة سورة، وآية آية، علىٰ وفق المناسبات والوقائع، إلا استمعوه وهم لاهون ساخرون مستهزءون، متشاغلة قلوبهم عن التأمل وتفهم معناه. وهذا ذم صريح للكفار، وزجر لأمثالهم عن تعطيل الانتفاع بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

نحن في غفلة عن يوم القيامة وما ينتظرنا فيه، ونحن في غفلة عن القيامة أو عن أول أحوال القيامة ألا وهي سكرات الموت وأهواله ومطلعه، يقول تعالىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق:١٩ - ٢٢] والمعنىٰ: لقد كنت في غفلة من هذا اليوم، كنت في الدنيا في غفلة عن ذلك اليوم فكشفنا عنك

غطاءك: ذلك الران، وذلك الغطاء الذي كان علىٰ قلبك وسمعك وبصرك، فبصرك اليوم حديد: أي نافذ تبصر ما كنت تنكره في الدنيا.

### ثالثًا: الغفلة عن آيات الله ﷻ:

يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس:٩٢].

- **وآيات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية:**

- **فالآيات الكونية:**

ما يتعلق بالخلق والتكوين، مثال ذلك قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [فصلت:٣٧]، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الروم:٢٠]، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم: ٢٢ - ٢٥]، فهذه الآيات كونية وإن شئت، فقل: كونية قدرية، وكانت آية لله، لأنه لا يستطيع الخلق أن يفعلوها، فمثلًا: لا يستطيع أحد أن يخلق مثل الشمس والقمر، ولا يستطيع أن يأتي بالليل إذا جاء النهار، ولا بالنهار إذا جاء الليل، فهذه الآيات كونية.

والإلحاد فيها أن ينسبها إلىٰ غير الله استقلالًا أو مشاركة أو إعانة، فيقول: هذا من الولي الفلاني، أو: من النبي الفلاني، أو: شارك فيه النبي الفلاني أو الولي الفلاني، أو: أعان الله فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ:٢٢]، فنفىٰ كل شيء يتعلق به المشركون بكون معبوداتهم لا تملك شيئًا في السماوات والأرض استقلالًا أو مشاركة ولا معينة لله ﷻ، ثم بالرابع: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٣]، لما كان المشركون قد يقولون: نعم، هذه الأصنام لا تملك ولا تشارك ولم تعاون، لكنها شفعاء، قال: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٣]، فقطع كل سبب يتعلق به المشركون.

- **القسم الثاني من الآيات: الآيات الشرعية:**

وهي ما جاءت به الرسل من الوحي، كالقرآن العظيم وهو آية، لقوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٢]، ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١]، فجعله آيات.

**ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها أو مخالفتها:**

**فتكذيبها:** أن يقول: ليست من عند الله، فيكذب بها أصلًا، أو يكذب بما

جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل، فيقول مثلًا: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة، وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة والله لم يرسل عليهم طيرًا أبابيل.

**وأما التحريف**: فهو تغيير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله، مثل أن يقول: استوىٰ علىٰ العرش، أي: استولىٰ، أو: ينزل إلىٰ السماء الدنيا، أي: ينزل أمره.

**وأما مخالفتها**: فبترك الأوامر أو فعل النواهي، قال الله تعالىٰ في المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج:٢٥]، فكل المعاصي إلحاد في الآيات الشرعية، لأنه خروج بها عما يجب لها، إذ الواجب علينا أن نتمثل الأوامر وأن نجتنب النواهي، فإن لم نقم بذلك، فهذا إلحاد.

فالآيات الكونية والآيات الشرعية توجب الاعتبار والتدبر والتفكر، التي توقظ من سنة الغفلة، ونحن عنها غافلون إلا من رحم الله وقليل ما هم.

- ونحن في غفلة عن آيات الله ﷻ، ومعاذ الله أن تبلغ بنا الغفلة إلىٰ أن تكون غفلة كاملة مستحكمة تامة كما غفل الكافرون عن آيات الله سبحانه وتعالىٰ، فجمعوا بعدًا وقنوطًا من الآخرة، ورضىً بالدنيا وطمأنينة بها، وهم بعد ذلك وقبله في غفلة عن آيات الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس:٧ - ٨].

### رابعًا: غفلة الإنسان عن نفسه وذنوبه:

لقد عظمت الغفلة حتىٰ حجبت الكثير عن التفكر والتدبر، حتىٰ إننا نرىٰ كثيرًا من الناس ينزعجون من الكلام عن قضية الغفلة، ولا يحب طرح هذا الموضوع، بل ربما بادر برده قائلًا عاجلًا: إننا نصوم ونصلي فعن أي غفلة تتحدث؟

- **إنكار الناس لغفلتهم:**

نحن في غفلة عن الآخرة، والحساب قريب: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء:١].

فَيَا سَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَىٰ ... صَرِيْع الأَمَانِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الذي لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوَىٰ جَنَّةٍ، أو حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ
وبالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ متَمَسِّكًا ... هي العُرْوَةُ الوُثْقَىٰ الَّتي لَيْسَ تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخِيْلِ بِمَالِهِ ... وعُضَّ عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ تَسْلَمُ
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا ... فَمَرْتَعُ هَاتِيْكَ الحَوَادثِ أَوْخَمُ
وهَيِئ جَوَابًا عنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا ... مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ

نحن في غفلة عظيمة، وأهل الدنيا عمومًا في غفلة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم:٣٩] فأهل الدنيا في غفلة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ**

**يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم:٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم:٣٩]». (١)

- **ظاهرة عدم مبالاة الغافل بذنوبه:**

ومن دلائل استحكام الغفلة في القلوب أن يرىٰ الواحد منا نفسه يقع في الصغيرة تلو الصغيرة ولا يبالي بما ارتكب من الذنوب، يجمع محقرات الذنوب ولا يهتم بها، وقد حذر النبي ﷺ فقال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**». (٢)

**يقول ابن المبارك:**

وَمِنَ الْبَلاءِ وَلِلْبَلاءِ عَلامَةٌ ... أَنْ لَا يُرَىٰ لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ

الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهِ ... وَالْحُرُّ يَشْبَعُ تَارَةً وَيَجُوعُ

كيف لا نقر بالغفلة ونحن نرىٰ التقصير الفاضح البين في قيام الليل وفي نوافل العبادات والتسابق إلىٰ الخيرات؟

---

(١) صحيح البخاري: (٤٧٣٠).

(٢) المعجم الأوسط: (٧٣٢٣)، صحيح الجامع: (٢٦٨٧).

إن الغافل عن نفسه، والغافل عن ذنوبه، والغافل عن أعماله يجمع المصائب تلو المصائب، وبلايا مع البلايا، وفتنًا مع الفتن، وعظائم مع العظائم، وهو لا يدري ما تجمع عليه وما تحصل له من سوء عاقبة ما اجترحت يداه، ونطق به لسانه، ومشت إليه قدماه أو نظرت إليه عينه، أو سمعته أذنه.

لا يبالي أأصبح مطيعًا أم عاصيًا.

أمضىٰ ومشىٰ إلىٰ طاعة الله أم إلىٰ معصيته؟

أإلىٰ حلقة ذكر أم إلىٰ جلسة لهو؟

أإلىٰ مجلس عبادة أم إلىٰ مجلس فسق وباطل؟

أإلىٰ مجلس حلال أم إلىٰ مجلس حرام؟

- أولئك الذين غفلوا عن أعمالهم فلا يحاسب الواحد نفسه قبل أن يخرج:

إلىٰ أين؟

ولأجل من؟

وما هي العاقبة؟

وما الخاتمة؟

وما النتيجة؟

أولئك هم الغافلون.

- أما الذين يتذكرون فهم أصحاب القلوب الحية والسليمة يسائلون أنفسهم في كل حركة وخطوة وكلمة وصمت وذهاب وإياب وغدو ورواح:

ماذا أرادوا بهذا؟

ولأجل من؟

وما الغاية؟

وما الطريق؟

وما النتيجة؟

وكيف العاقبة؟

وهل يباعد من الله أم يقرب منه؟

- أما الغافل والجاهل فهو لا يبالي بذلك أبدًا، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا**»، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ.(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».(٢)

---

(١) صحيح البخاري: (٦٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري: (٦٤٧٨).

### خامسًا: غفلة الناس عن ذكر الله:

لقد أمر الله ﷻ بذكره، ونهىٰ عن ضده من الغفلة والنسيان كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

فالذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥]. فلم يقل: ولا تكن من الناسين؛ لأن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهىٰ عنه.(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**(٢)، **وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**».(٣)

فمن السنة أن الإنسان إذا كان في مجلس؛ ألّا يخلو هذا المجلس من ذكر الله ﷻ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ، فقد جاء في بعض الأحاديث

---

(١) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٨٦٩).

(٢) الترة هي النقص، قال الله ﷻ في القرآن: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] أي: لن ينقصكم، ومعنىٰ الترة في هذا الحديث: التبعة، وترت الرجل ترة أي: أنقصته نقصًا.

(٣) سنن أبي داود (٤٨٥٦)، صحيح الجامع: (٦٤٧٧).

الوعيد علىٰ ترك ذلك منها قوله ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً وَمَا مَشَىٰ أَحَدٌ مَمْشًىٰ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً وَمَا أَوَىٰ أَحَدٌ إِلَىٰ فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِ ترة**».(١) ومعنىٰ ذلك أنه يستحب أن تذكر الله في الطريق وأنت تمشي.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**». (٢)

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً**».(٣)

أي: كأنهم كانوا مجتمعين علىٰ جيفة حمار منتنة، ويكون عليهم ذلك المجلس حسرة يوم القيامة.

- وصح عنه أيضًا ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا**»(٤)، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يَتحسر عليه أهل الجنة؛ أنهم بعد أن يدخلوا الجنة يتحسرون علىٰ أي ساعة أو لحظة مرت بهم في الدنيا ولم يعمروها بذكر الله ﷻ.

---

(١) موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان: (٢٣٢١). وانظر السلسلة الصحيحة : ( ٧٨).
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٣٢٣).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٤).
(٤) مسند الشاميين للطبراني (٤٤٦)، وانظر: صحيح الجامع: (٥٤٤٦).

• **من فضائل الذاكرين الله كثيراً:**

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةً، أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟**» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا. قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا فَخَرَجَ فيه أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ(١)، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَخِيرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمِ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ**». (٢)

فتعجب النبي ﷺ من فعل طلحة كيف يتعجب لهذا مع أنه أمر طبيعي، فالمؤمن إذا مد له في أجله بعد أخيه فعمر أوقاته بالتسبيح والذكر والتكبير والتهليل، فهذه ترفع درجاته حتىٰ ربما ارتفع فوق مقام من سبقه بالشهادة.

- ومما ثبت أيضًا عن النبي ﷺ في فضل ذكر الله ﷻ في الخلوة ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا**

(١) أي: رآهم في منامه في الجنة.
(٢) مسند أحمد: (٤٤٦)، وانظر: صحيح الجامع: (٥٤٤٦).

**تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**(١)، فهذا يدل علىٰ فضل ذكر الله ﷻ في الخلوة حيث لا يراه الناس، فإذا اجتمع له ذكر الله في الخلوة مع البكاء من خشية الله ﷻ حتىٰ تفيض عيناه فإنه يكون يوم القيامة في ظل الله ﷻ يوم لا ظل إلا ظله.

- **أنواع الذكر:**

والذكر من حيث ما يذكر ثلاثة أنواع:

ذكر الله وأسمائه وصفاته ومعانيها والثناء علىٰ الله بها وتوحيد الله بها.. وذكر الأمر والنهي.. والحلال والحرام.. وذكر الآلاء والنعماء والإحسان.

وذكر الله تبارك وتعالىٰ تارة يكون بالقلب واللسان وهو أعلىٰ الدرجات.. وتارة يكون بالقلب وحده وهو في الدرجة الثانية.. وتارة يكون باللسان المجرد وهو في الدرجة الثالثة.

وذكر العبد لربه محفوف بذكرين من ربه له: ذكر قبله به صار العبد ذاكرًا له، وذكر بعده به صار العبد مذكورًا، كما قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢]. (٢)

- **الذكر فرض ونفل:**

كما أن الصلاة والصيام قسمان: فرض ونفل، فكذلك الذكر نوعان:

---

(١) صحيح مسلم: (١٠٣١).

(٢) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٨٧١).

**فالذكر الحقيقي**: هو الالتزام بأداء جميع الأحكام والعبادات المفروضة في وقتها، والالتزام بجميع الأدعية والأوراد المشروعة طبقًا لما ورد في السنة، وهذا هو الذكر الواجب.

يؤدي المسلم ذلك كله معظمًا لربه، حامدًا له، محبًا له، خاشعًا لربه، معتقدًا بفضلها، راجيًا من ربه الثواب عليها.

**أما الذكر النفلي**: فهو عبارة عن الأذكار المسنونة التي بينها النبي ﷺ، والتي ترسخ حقائق الأوامر الإلهية في القلب، وتنشط الجوارح لأدائها والإكثار منها، والصبر عليها.

**فالذكر الحقيقي**: فرض واجب، ولا يمكن تركه، ولا الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا التصرف في كيفية أدائه، أو تحديد أوقاته.

**أما الذكر النفلي**: فهو أمر اختياري مسنون، يقوم به العبد المسلم في الأوقات المتبقية من أداء الواجبات والفرائض الشرعية، وذلك حتىٰ يظل المسلم دائم الصلة بربه، وحتىٰ لا يشتغل الإنسان بالأعمال التي لا تعنيه في حياته.

إذ أن الشيطان يسعىٰ لإشغال المسلم القائم بأداء واجباته الدينية في أوقات الفراغ باللهو واللعب، واللغو والفواحش، فللبعد عن حملات الشيطان، وهوىٰ النفس وشهواتها، والمحافظة علىٰ الرباط الذي يربط المسلم بربه، لتحصل له البركات، لزم الاهتمام بالذكر النفلي. (١)

(١) موسوعة فقه القلوب: (٢/ ١٨٧٢).

## آفـــات الغـــفـــلة وأضرارها

### أولاً: من آفات الغفلة الصَّدُّ عن الحق:

الغفلة تصد عن الحق، وتصد عن اتباع المواعظ، وتصد عن استماع النصيحة، قال جل جلاله: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦- ١٤٧].

**يقول صاحب «التفسير المنير»**: سأمنع قلوب المتكبرين عن طاعتي والمتكبرين علىٰ الناس بغير حق من فهم الدلائل الدالة علىٰ عظمتي وشريعتي، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف:٥]. والمراد بآياتي هنا: الأدلة والبينات.

وهذا خطاب شامل كل أمة وفرد، مثل فرعون وقومه الذين منعهم الله من فهم آيات موسىٰ، وقد يفهمون بعض الآيات ويجحدونها غرورًا وتعاليًا وتكبرًا مثل قوم فرعون الذين قال الله فيهم: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ [النمل:١٤] ومثل كفار قريش الذين حجبهم الكبر عن النظر في

الآيات مع يقينهم بصدق محمد.

- **هؤلاء المتكبرون من صفاتهم:**

**أولاً:** أنهم لا يؤمنون بأي آية تدل علىٰ الحق وتثبته إذ لا تفيد الآيات إلا من كان مستعدا للفهم وقبول الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦- ٩٧].

**وثانيًا:** أنهم يبتعدون عن طريق الهدىٰ والرشاد، وهي الطريق الممهدة المؤدية إلىٰ النجاة، فإذا رأىٰ أحدهم هذه السبيل لا يسلكها ويسلك غيرها، وهذا عن تعمد وعناد، وقد يكون بعضهم عن جهل، وحكم الفريقين واحد.

**وثالثًا:** أنهم إذا ظهر لهم سبيل الغي والضلال والفساد، بادروا إليه مسرعين، بما تزينه لهم أهواؤهم ونفوسهم الأمارة بالسوء، وهذا سلوك شر مما سبقه.

ثم علل مصيرهم إلىٰ هذه الحال بعلة ثابتة وهي تكذيبهم بآيات الله المنزلة علىٰ رسله، وغفلتهم عن النظر بما فيها، وإعراضهم عن العمل بها.

ومجمل حال هؤلاء المتكبرين: أن الله لم يخلقهم مطبوعين علىٰ الكفر والضلال، ولم يجبرهم عليه، بل حدث ذلك باختيارهم إذ أنهم كذبوا بالآيات، وانغمسوا بأهوائهم وشهواتهم في بؤر الضلال والانحراف، وحجبوا

أفهامهم عن إدراك الحق والهدىٰ وسلوك سبيل السعادة والنجاة [١]، فهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

ثم أوضح الله تعالىٰ مآل ما قد يعملونه من أعمال خيّرة في الدنيا: وهو إحباطها وإبطالها وتلاشي آثارها، وعدم ترتيب الثواب عليها، فقال: والذين كذبوا بآياتنا المنزلة علىٰ رسلنا، ولم يؤمنوا بها، ولم يصدقوا بالآخرة والبعث وما فيه من جزاء علىٰ الأعمال ثوابًا علىٰ الخير وعقابًا علىٰ الشر، واستمروا علىٰ وضعهم هذا إلىٰ الممات، بطلت أعمالهم، وذهبت سدىٰ، لفقد شرط القبول وهو الإيمان، ولأن من سنته تعالىٰ جعل الجزاء في الآخرة بحسب أعمالهم التي أسلفوها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وكما تدين تدان. [٢]

فالغفلة سبب واضح للصرف عن طريق الحق، لأن الغافل مهما جاءه من آيات لا ينتفع بها لغفلة القلب والعياذ بالله.

---

(١) وهذا شأن من مَرَدَ علىٰ الضلال، وانغمس في الشرور والآثام. إنه لإلفه المنكرات صار الحسن عنده قبيحًا والقبيح حسنًا، وصدق الله إذ يقول: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

(٢) التفسير المنير للزحيلي: (٩/ ٩١-٩٢).

### ثانيًا: من آفات الغفلة الاستخفاف بأوامر الله:

والاستخفاف بأوامر الله ﷻ ينافي الرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولًا، قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات:١ - ٢].

**يقول ابن القيم معلقًا على هذه الآية:** أَيْ لَا تَقُولُوا حَتَّىٰ يَقُولَ، وَلَا تَأْمُرُوا حَتَّىٰ يَأْمُرَ، وَلَا تُفْتُوا حَتَّىٰ يُفْتِيَ، وَلَا تَقْطَعُوا أَمْرًا حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ وَيَمْضِيهِ، رَوَىٰ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَرَوَىٰ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ قَالَ: نُهُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهِ.

وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ لَا تَعْجَلُوا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ يَفْعَلَ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات:٢] فَإِذَا كَانَ رَفْعُ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ سَبَبًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ فَكَيْف تَقْدِيمُ آرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَذْوَاقِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ وَرَفْعُهَا عَلَيْهِ؟ أَلَيْسَ هَذَا أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُحْبِطًا لِأَعْمَالِهِمْ. (١)

إن الاستخفاف بأوامر الله من أبشع صور الغفلة في هذه الأيام وفي هذا

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: (١/ ٤١).

الزمان، وهذه الغفلة التي تتمثل في هذا الاستخفاف تتنافى ابتداءً مع أصل الإيمان: مع الرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا.

- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١] هذا شعار أهل الإيمان، أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾ [البقرة:٢٨٥]، أما شعار المستخفين بأوامر الله ﷻ: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣].

و من أبشع صور الغفلة، أن يقول القائل: قال الله كذا، أو ينهىٰ فيقول: نهىٰ الله عن كذا، ونهىٰ رسول الله عن كذا، فلا مجيب.

تقول له: الله ﷻ حرم كذا، فيقال: نعم نعلم ذلك، الله ﷻ نهىٰ عن كذا، فيقال: نعلم. علم ولا تطبيق!

فالله يأمر وينهىٰ والرسول يأمر وينهىٰ، ولكن أين السمع والطاعة؟!

يا من زعمت أنك ممن أحسنوا الظن بالله، أين العمل أين السمع أين الامتثال للأمر أين الاجتناب للنهي أين الوقوف عند الحدود؟

لماذا هذا الاستخفاف بأوامر الله تعالىٰ؟ بل نجد من يرمي الشريعة الربانية المحكمة بالجمود والقصور والله ﷻ يخاطب نبيه المصطفىٰ ويقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

[الجاثية:١٨].

إن من امتثل أمر الله في شرعه فهو المؤمن، ومن سمع وأعرض فهذا هو دأب المنافقين كما قال ربنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء:٦٠ - ٦١].

إن الذي يعرض ويصد عن سبيل الله هو المنافق بنص القرآن وإن أظهر للناس بلسانه وبيانه غير ذلك، فالله ﷻ هو الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

- **وهنا تنبيه:**

إن اختزال الشريعة أو الدين في الحدود أمر لا يقول به منصف، فما الحدود إلا باب من أبواب المعاملات، وما المعاملات إلا باب من أبواب الشريعة، بل إن إقامة الحدود في دين الله وفي شريعة الله لها ضوابط وشروط، وليس الأمر هكذا علىٰ إطلاقه، وهذا أمر مؤصل في كتب الفقه.

### ثالثًا: من آفات الغفلة التكالب على الدنيا:

إن حرصنا علىٰ الدنيا ومعرفتنا بها بلغ حدًا لا يوصف، أما شأن الآخرة فكثير منا قد جمع فيه بين الجهل والغفلة، ومعاذ الله أن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم:٧].

**يقول ابن كثير:** ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم:٧] أَيْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَيْسَ لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وَمَا فِيهَا، فَهُمْ حُذَّاقٌ أَذْكِيَاءُ فِي تَحْصِيلِهَا ووجوه مَكَاسِبِهَا، وَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كَأَنَّ أَحَدَهُمْ مُغَفَّلٌ لَا ذِهْنَ لَهُ وَلَا فِكْرَةَ.

**قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:** وَاللهِ لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أن يَقْلِبُ الدِّرْهَمَ عَلَىٰ ظُفْرِهِ، فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ.

**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قوله تعالىٰ:** ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم:٧] يَعْنِي الْكُفَّارُ يَعْرِفُونَ عُمْرَانَ الدنيا، وهم في أمر الدين جهال. (١)

- وفي حال هؤلاء يقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِالدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِالْآخِرَةِ**» (٢) الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا: يعلمون أمر معاشهم كيف يكتسبون، وكيف يتّجرون، ومتىٰ يغرسون ويزرعون، ومتىٰ يحصدون، وكيف يعيشون ويبلون، أما شأن الآخرة فهم عنها ساهون وبها جاهلون، لا يتفكرون فيها ولا لأجلها يعملون.

وهؤلاء الذين يعلمون دنياهم إذا فتح الله عليهم بالمال والدنيا يظنون أن

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي: (١٠/ ٣٢٧)، وانظر: الصحيحة (١٩٥)، وصحيح الجامع: (٨٢٦).

هذا دليل علىٰ حب الله لهم فيغترون بنعم الله عليهم، فيظن أحدهم أن هذه النعم إنما هي أصل لرضا الله عنه، ويقول: لولا أن الله ﷻ قد رضي عني ما أنعم علي بهذه النعم! فهو مغتر بنعم الله ونسي هذا المسكين أنه مستدرج.

• **النعمة مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة:**

إن الابتلاء بالنعيم أقسىٰ من الابتلاء بالضيق والشدة؛ لأن الابتلاء بالنعيم يلهي وينسي ويطغي إلا من رحم الله تعالىٰ، فصاحبه يظن أن الله ما أنعم عليه إلا لأنه قريب من الله تبارك وتعالىٰ!! كلا، انظر إلىٰ أهل الكفر في الشرق والغرب فقد أنعم الله ﷻ عليهم، وفتح عليهم أبواب كل شيء، فهل هذا دليل علىٰ أن الله قد رضي عن الكفر وأهله؟!

- لا والله، ولكن النعم استدراج لأهل الكفر المعاصي، والدليل عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [الأنعام:٤٤]. (١)

✍ **يقول صاحب «التفسير الوسيط»:** ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [الأنعام:٤٤].

والمعنىٰ: فلما أعرضوا عن النذر والعظات التي وجهها إليهم الرسل،

(١) مسند أحمد: (٢٨/ ٥٤٧)، وانظر: السلسلة الصحيحة: (٤١٣).

فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق وأسباب القوة والجاه. حتىٰ إذا اغتروا وبطروا بما أوتوا من ذلك أخذناهم بغتة فإذا هم متحسرون يائسون من النجاة.

والفاء في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ ﴾ [الأنعام:٤٤] لتفصيل ما كان منهم. وبيان ما ترتب علىٰ كفرهم من عواقب قريبة وأخرىٰ بعيدة.

والمراد بالنسيان هنا: الإعراض والترك. أي: تركوا الاهتداء بما جاء به الرسل حتىٰ نسوه أو جعلوه كالمنسي في عدم الاعتبار والاتعاظ به لإصرارهم علىٰ كفرهم، وجمودهم علىٰ تقليد من قبلهم.

والتعبير بقوله تعالىٰ: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٤٤] يرسم صورة بليغة لإقبال الدنيا عليهم من جميع أقطارها بجميع ألوان نعمها، وبكل قوتها وإغرائها، فهو اختبار لهم بالنعمة بعد أن ابتلاهم بالبأساء والضراء.

وعبر سبحانه عن إعطائهم النعمة بقوله: بِما أُوتُوا بالبناء للمجهول لأنهم يحسبون أن ذلك بعلمهم وقدرتهم وحدهم، كما قال قارون من قبل ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص:٧٨].

وأضاف - سبحانه الأخذ إلىٰ ذاته في قوله: ﴿ أَخَذْنَٰهُم ﴾ [الأنعام:٤٤] لأنهم كانوا لا ينكرون ذلك، بل كانوا ينسبون الخلق والإيجاد إلىٰ الله تعالىٰ.

وكان الأخذ بغتة ليكون أشد عليهم وأفظع هولًا، أي أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كوننا مباغتين لهم. أو حال كونهم مبغوتين، فقد فجأهم

العذاب علىٰ غرة بدون إمهال. وإذا في قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤] فجائية، والمبلس: الباهت الحزين البائس من الخير، الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال. (١)

وحري بنا أن نتدبر قول الصادق المصدوق ﷺ: «**فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**». (٢)

- **نماذج لأناس تكالبوا على الدنيا فخسروا الدنيا والآخرة:**

**١ - الرحال بن عنفوة:**

ذكر السُّهيْلي وَغَيره أَن الرّحال بن عنفوة واسْمه نَهَار بن عنفوة وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ وَصَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُدَّة، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفُرَاتِ بِنْ حَيَّانَ فَقَالَ لَهُمْ: «**أَحَدُكُمْ ضِرْسُهُ فِي النَّارِ مِثْلُ أُحُدٍ**». فَلَمْ يَزَالَا خَائِفَيْنِ حَتَّىٰ ارْتَدَّ الرّحال مَعَ مُسَيْلِمَةَ وَشَهِدَ لَهُ زُورًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَشْرَكَهُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَحْفَظُهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَادَّعَاهُ مُسَيْلِمَةُ لِنَفْسِهِ، فَحَصَلَ بِذَلِكَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِبَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ قَتَلَهُ زيد بن الْخطاب يَوْم الْيَمَامَة. (٣)

وما قام الرحال بتصديق مسيلمة إلا لتكالبه علىٰ الدنيا، ولطمعه في أن

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي: (٥/ ٧٤-٧٥).
(٢) صحيح البخاري (٣١٥٨).
(٣) السيرة النبوية لابن كثير: (٤/ ٩٧)، والمنتظم لابن الجوزي: (٤/ ٨١).

يشركه مسيلمة معه في الأمر، حتىٰ يكون وزيرًا ومقربًا، وهنا كان التكالب علىٰ الدنيا سببًا ظاهرًا وواضحًا، وما هو إلا أثر من آثار الغفلة المسيطرة علىٰ القلب.

**٢ - الأعشى بن قيس:**

الأعشىٰ بن قيس خرج إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ، فقال له: يا أبا نصير إنه يحرم الزنا. فقال الأعشىٰ: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب، فقال: إنه يحرم الخمر. فقال الأعشىٰ: أما هذه إن في النفس منها لغلالات، ولكني منصرف فأتروّىٰ منها عامي هذا، ثم آته فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلىٰ النبي ﷺ.(١) وهذا لتكالبه علىٰ الدنيا ولطمعه في شهوة نفسه رجع عن طريق الحق ومات كافرًا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

(١) السيرة الحلبية: (٢/ ٣٥٥).

## العلاج من الغفلة

### طريق الشفاء من الغفلة:

ليست الغفلة ضربة لازب أو مرضًا لا يوجد له دواء، إن الغفلة داء وما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء؛ علمه من علمه وجهله من جهله، يمكننا أن نتخلص من هذه الغفلة بالاستعانة بالله سبحانه وتعالىٰ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «**مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَأَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ اسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، ولاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». (١)

### التقوى والدعاء علاج للغفلة:

إذا أردنا أن نعالج أنفسنا من الغفلة فلنتعلق بالله ولنقل: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، لنعترف بأننا غافلون، ولنتعلق بالله لينجينا ولينقذنا من هذه الغفلة تعلق الغريق، وننادي نداء المكروب: اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت.

لابد أن نحطم قسوة القلوب بتمريغ الأنوف والجباه سجودًا لله، ونشكو إلىٰ الله قسوة قلوبنا وشدة غفلتنا وطول طريقنا وقلة زادنا، عسىٰ أن تنجلي تلك الغشاوة من الغفلة، قال ﷺ: «مَا **مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ، إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ**

(١) مسند البزار: (١٣/ ٤٩)، وسنن النسائي: (٩/ ٢١٢)، والسلسلة الصحيحة: (٢٢٧).

**كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ، فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ».** (١)

إذًا فهذه الغفلة سحابة علىٰ القلب يمكن أن تنجلي بإذن الله ﷻ، لكن سحابة الغفلات لا تنجلي بالأماني ولا تنجلي بالكلام وإنما تنجلي بالتطبيق، وتنجلي بالمجاهدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

### تذكر الخاتمة علاج للغفلة:

وتزول الغفلة بتذكر الخاتمة، عش ما شئت فإنك ميت، عن ابْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ الدَّرْدَاءِ، قَالَتْ: لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ جَعَلَ يَقُولُ: مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا؟ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا؟ لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ؟ مَنْ يَعْمَلْ لِمِثْلِ مَضْجَعِي هَذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الأنعام:١١٠] قَالَ: تَمَامَ الْآيَةِ. (٢)

إذا أردنا أن تنجلي هذه الغفلة فلنتذكر أننا راحلون، كم جنازة صلينا عليها؟ فلنتذكر أننا يومًا من الأيام سنكون مكان واحدة من هذه الجنائز التي يصلىٰ عليها، ولنزر المقابر ولنتأمل أحوالها:

**قَالَ مَالِكُ بنُ دِينَار** رضي الله عنه: مَرَرْتُ بالمَقبرَة فَرَدَّدْتُ قَوْلَ الشَّاعِر:

أَتَيْتُ القُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... فَأَيْنَ المعَظَّمُ وَالمحْتَقَرْ

وَأَيْنَ المُدِلُّ بِسُلطَانِهِ ... وَأَيْنَ المُمَجَّدُ بَينَ البَشَرْ

(١) المعجم الأوسط: (٥/ ٢٤٨)، والسلسلة الصحيحة: (٢٢٦٨).

(٢) الزهد لأبي داود (ص: ١٩٤)، شعب الإيمان (١٣/ ٢٠٠).

وَأَيْـــنَ قُصُـــورُهُمُ الشَّـــامخَاتُ ... وَأَيْـــنَ محَاسِـــنُ تِلْـــكَ الصُّـــوَرْ

فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهَا أَسْمَعُ صَوْتًا وَلاَ أَرَىٰ شَخْصًا:

تَفَـــانَوْاْ جَمِيعًـــا فَمَـــا مُخْـــبِرٌ ... وَمَـــاتُواْ جمِيعًـــا وَمَـــاتَ الخَـــبِرْ

فَيَـــا سَـــائِلِي عَـــن أُنَـــاسٍ مَضَـــوْاْ ... أَمَـــا لَـــكَ فِيمَـــا تَـــرَىٰ مُعْتَـــبِرْ

* فَرَجَعْتُ وَأَنَا بَاكٍ.(١)

**يقول ابن الرندي في نونيته الشهيرة:**

وَهَـذِهِ الـدَّارُ لا تبقِـي علـىٰ أحـدٍ ... ولا يـدُومُ عَلَـىٰ حَـالٍ لَهَـا شـانُ

أين المُلُوكُ ذوي التُيجانِ مِن يمنٍ ... وأيـــن مـــنهم أكاليـــلٌ وتيجـــانُ

وأيـــن مـــا شـــادهُ شـــدادُ في إرمٍ ... وأيـن مـا ساسـهُ في الفُـرسِ ساسـانُ

وأيـن مـا حـازه قـارون مـن نهـبٍ ... وأيـــن عـــادٌ وشـــدادٌ وقحطـــانُ

أتـىٰ علـىٰ الكـل أمـر لا مـرد لـهُ ... حتـىٰ قضـوا فكـأن القـوم مـا كـانُوا

لو زرنا قبور الرؤساء والزعماء، وقبور الأمراء والوزراء، وقبور الملوك، وقبور الأثرياء وقبور الفقراء؛ سنجد القبور كلها بجوار بعضها.

انتهىٰ الأمر: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام:٩٤] هذا هو المرد وهذه هي النهاية، فمن تذكر ذلك حتىٰ وإن ركب ما ركب وسكن ما سكن وجمع ما جمع فإنه بإذن الله ﷻ يعود منكسرًا إلىٰ الله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق:٨] لذا أمرنا النبي ﷺ بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِ الْقَبْرِ،

(١)إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨٧). موسوعة الرقائق والأدب: (ص: ٣٩٩١).

فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**»(١).

فليتفكر العبد في هذا، وليعلم أنه لا يعالجه من هذه الغفلة إلا أن يكسر ويحطم قسوة قلبه بأن يرىٰ الأموات يغسلون، ويرىٰ الأموات يكفنون، ويقف عند المقابر، ويزور المرضىٰ، وينظر أحوال أصحاب العاهات الذين سلبت منهم العافية بين لحظة ولحظة ليعرف حاله وأن ما أصابهم ليس ببعيد أن يصيبه هكذا ينبغي أن ننتبه وأن نحذر من هذه الغفلة.

### مجالس الذكر علاج للغفلة:

من شكا قسوة فؤاده، ومن شكا هذه الغفلة فعليه برياض الجنة، وعليه بمجاهدة النفس، وعليه بمجالس الذكر عسىٰ أن يجد قلبه هناك، وليعلم أن هذه الدنيا في ء زائل: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف:٤٥]، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤] ولننظر إلىٰ الذي غرس غرسًا فما أكل ثمره، وبنىٰ قصرًا فما سكنه، وهيأ دارًا فما انتقل إليها، وأعد وظيفة فما وصلها، ورتب شيئًا فما أدركه، وكان الموت سابقًا له قبل ذلك.

ثم افترض وهب لو أنه عاش فيما شاء من شهوات ولذات أوليس

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٧٨٤٤).

الموت نهايته؟ وهب أنه عاش منذ أن ولد في مفارش الحرير إلىٰ أن مات أوليست غمسة في النار تنسي هذا كله؟

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**». (١)

### أمور نحتاج إلى التفكر فيها:

لابد من الصبر فإنما هي أيام وكل سيعرف مكانه، وكل سيعرف مرتبته، وكل سيرىٰ منزلته، وكل سيرىٰ عاقبة عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران:١٩٦]، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء:٢٠٥ - ٢٠٧].

فَلَيْسَتْ هَذِه الدُّنْيَا بِشَيْء ... تسؤوك حقبة وتسر وقتا
وغايتها إِذا فَكرت فِيهَا ... كفيئك أَو كحلمك إِن حلمتا

(١) صحيح مسلم: (٢٨٠٧).

سجنت بهَا وَأَنت لَهَا محب ... فَكيف تحب مَا فِيهِ سجنتا
وتطعمك الطَّعَام وَعَن قريب ... ستطعم مِنْك مَا مِنْهَا طعمتا
وتعرىٰ إِن لبست لَهَا ثيابًا ... وتكسىٰ إِن ملابسها خلعتا
وَتشهد كل يَوْم دفن خل ... كَأَنَّك لَا ترَاد بِمَا شهدتا
وَلم تخلق لتعمرها وَلَكِن ... لتعبرها فجد لما خلقتا
وَإِن هدمت فزدها أَنْت هدما ... وحصن أَمر دينك مَا استطعتا
وَلَا تحزن علىٰ مَا فَاتَ مِنْهَا ... إِذا مَا أَنْت فِي أخراك فزتا
فَلَيْسَ بِنَافِع مَا نلْت فِيهَا ... من الفاني إِذا الْبَاقِي حرمتا(١)

ولنتذكر مواقف القيامة قال تعالىٰ واصفًا ما فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١- ٢].

ولنحذر من يوم قال فيه المولىٰ تبارك وتعالىٰ: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل: ١٧- ١٨].

* **فهذه أوصافها**: يشيب لها الولدان، تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترىٰ الناس سكارىٰ، الشمس تكور، النجوم تنكدر، السماء تنفطر، البحار تسجر، الجبال تتطاير كالعهن المنفوش،

(١) ديوان أبي إسحاق الإلبيري: (ص:٢٨-٢٩).

يجعلها الله قاعًا صفصفًا كل ذلك من الأهوال التي بين أيدينا سنراها ونعتقدها ونؤمن بها حق اليقين، أفلا يليق بواحد منا تأمل ذلك أن يقلع عن غفلته وأن يتدبر لنهايته؟ حري بنا أن نعد أنفسنا لما نحن قادمون عليه.

✍ **قال إبراهيم التيمي**: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلىٰ الدنيا فأعمل صالحًا. قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي. (١)

ولنخف من سوء الخاتمة، ولنعد لهذا الأمر عدته، قال عبد الرحمن بن مهدي: بات سفيان عندي فلما اشتد به الأمر جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب. فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. (٢)

✍ **وذكر ابن القيم هذا الموقف لسفيان الثوري ثم علق عليه قائلًا**: وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْهِ: أَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ أَنْ تَخْذُلَهُ ذُنُوبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ الْحُسْنَىٰ. (٣)

### التوبة والفرار إلى الله علاج للغفلة:

**الفرار نوعان: فرار السعداء وفرار الأشقياء**: أما فرار السعداء فهو الفرار إلىٰ الله، وأما فرار الأشقياء فهو الفرار من الله، ومع ذلك فلا ملجأ ولا ملاذ

(١) صفة الصفوة: (٢/ ٥٢).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٨٧).
(٣) الداء والدواء (ص: ١٦٧).

من الله إلا إليه.

أين نذهب؟! أين نفر من الله ﷻ؟! فلنبادر بالفرار إلىٰ الله ولنبادر بالتوبة إلىٰ الله ﷻ، ولنعلم جيدًا قول الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

سينتهي زمن التوبة يوم أن تطلع الشمس من مغربها، فإن عاد الكافر إلىٰ الله في ذلك اليوم فلا يقبل الله منه الإيمان، وإن عاد العاصي فلا يقبل الله منه التوبة.

ولنتدبر هذا الحديث لنعلم أهمية التوبة ووجوبها، عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام:١٥٨]» فإذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب

(١) صحيح مسلم: (٢٧٥٩).

التوبة.(١)

فالباب مفتوح لنا الآن علىٰ مصراعيه فلنبادر بالتوبة، قبل أن يأتي يوم يغلق فيه باب التوبة، فلا يقبل الله الإيمان من كافر ولا يقبل الله التوبة من مذنب عاصٍ.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**».(٢)

**أيها القارئ الكريم أذكرك بقول القائل:**

فدع الصبا فلقد عداك زمانه .. وازهدْ فعمرك منه ولَّىٰ الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودةٍ .. وأتىٰ المشيب فأين منهُ المهربُ
ضيف ألم إليك لم تحفل به .. فترىٰ له أسفًا ودمعًا يُسكَبُ
دع عنك ما قد فات في زمن الصِّبا .. واذكُر ذُنُوبَكَ وابكها يا مُذنِبُ
واخش مُناقشة الحساب فإنَّهُ .. لا بُد يُحصَىٰ ما جنيتَ ويكتبُ
لم يَنْسَهُ الملكانِ حين نسيتهُ .. بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ
والروحُ فيكَ وديعةً أُودعِتَها .. سترُدُّها بالرغم منك وتُسلبُ
وغُرور دُنياك التي تسعىٰ لها .. دارٌ حقيقتُها متاعٌ يذهبُ
والليل فاعلم والنهار كلاهما .. أنفاسنا فيها تُعدُّ وتُحسبُ

(١) صحيح مسلم: (١٥٩).
(٢) صحيح مسلم: (١٥٨).

وجميعُ ما حصلته وجمعته .. حقًّا يقينًا بعد موتك يُنهَبُ
تبًّا لدار لا يدومُ نعيمها .. ومشيدها عما قليلَ يَخْرَبُ
فاسمع هُديتَ نصائحًا أولاكها .. بَرٌّ نصوح عاقل متأدبُ
صحب الزمان وأهله مستبصرًا .. ورأىٰ الأمور بما تئوب وتعقبُ
أهدىٰ النصيحة فاتَّعظ بمقالِهِ .. فهو التقيُّ اللَّوذَعِيُّ الأدرب
لا تأمن الدهرَ الصروفَ فإنَّه .. لا زال قِدْمًا للرجال يُهذْبُ
وكذلك الأيان في غصَّاتِها .. مضضٌ يذِلُّ له الأعزُّ الأنجبُ
فعليك تقوَىٰ اللهِ فالزمها تَفزْ .. إنَّ التقيَّ هو البَهيُّ الأهيبُ(١)

- قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

فنسأل الله أن يجنبنا الغفلة وخطرها، و أن يمنّ علينا بالتوبة الصادقة، إنه جواد كريم برّ رحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٤٧٩).

## الخاتمة نسأل الله حسنها

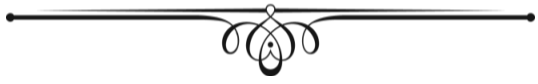

أتيتُــك راجيًــا يَــا ذا الجــلالِ ... ففـرِّجْ مـا تَـرَىٰ مـن سُـوءِ حَـالي
عَصَـيْتُك سَـيِّدِي ويْلِـي بجَهْلـي ... وَعَيـبُ الـذنبِ لـم يخطُـرْ ببـالي
إلــىٰ مــن يَشْــتكِي المملــوكُ إلَّا ... إلــىٰ مَــوْلَاهُ يــا مَــوْلَىٰ الَمــوَالي
لَعَمْــرِي ليــتَ أُمِّــي لَــم تلِــدْني ... ولــم أُغْضِــبْك في ظُلَــمِ اللَّيَــالي
فَهَــا أنــا عبــدُك العَاصــي فقيــرٌ ... إلــىٰ رُحْمــاكَ فاقبــلْ لــي سُــؤَالي
فــإنْ عاقَبْــتَ يــا ربِّــي تُعَاقِــبْ ... مُحقًّــا بالعــذابِ وبالنَّكَــال
وإن تَعْفــو فعفْــوك قــد أَرَاني ... لِأفعــالي وأوزاري الثقــال

# الفهرس

الإهداء ..... ٧
مقدمة المؤلف ..... ٩
عملي في هذه الصفحات: ..... ١٣

***

## أسباب الغفلة ١٧

١- الدنيا أهم أسباب الغفلة: ..... ١٧
التحذير من الافتتان بالدنيا والركون إليها: ..... ١٨
ذم الدنيا وبيان حقارتها وضرب المثل لها في القرآن: ..... ٢٣
ذم الدنيا في حديث الرسول ﷺ: ..... ٢٦
متاع الدنيا يسحب من رصيد الآخرة: ..... ٢٨
٢- طول الأمل من أسباب الغفلة: ..... ٢٩
الفرق بين الأمل والطّمع والرجاء: ..... ٣١
دوافع طول الأمل: ..... ٣١
علاج طول الأمل: ..... ٣٣
بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره: ..... ٣٤
٣- فتنة النساء سبب للغفلة: ..... ٣٦
تحذير الشرع من خطر الفتنة بالنساء: ..... ٣٧
فتنة نساء بني إسرائيل: ..... ٤٠

٤- الوسط المحيط سبب للغفلة: ..... ٤١
ضرورة تغيير بيئة المعصية: ..... ٤١
الآثار المترتبة علىٰ مجالسة أهل السوء: ..... ٤٣
علامة الجليس السوء: ..... ٤٥

***

## أهم الأمور التي نغفل عنها ٤٧

أولاً: الغفلة عن الغاية التي خلق من أجلها الإنسان: ..... ٤٧
ثانيًا: الغفلة عن يوم القيامة: ..... ٥٠
ثالثًا: الغفلة عن آيات الله ﷻ: ..... ٥٢
آيات الله ﷻ تنقسم إلىٰ قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية: ..... ٥٢
رابعًا: غفلة الإنسان عن نفسه وذنوبه: ..... ٥٥
إنكار الناس لغفلتهم: ..... ٥٥
ظاهرة عدم مبالاة الغافل بذنوبه: ..... ٥٦
خامسًا: غفلة الناس عن ذكر الله: ..... ٥٩
من فضائل الذاكرين الله كثيرًا: ..... ٦١
أنواع الذكر: ..... ٦٢
الذكر فرض ونفل: ..... ٦٣

***

## آفـــات الغـــفـــلة وأضرارها ٦٥

أولاً: من آفات الغفلة الصَّدُّ عن الحق: ..... ٦٥
هؤلاء المتكبرون من صفاتهم: ..... ٦٦
ثانيًا: من آفات الغفلة الاستخفاف بأوامر الله: ..... ٦٨

ثالثًا: من آفات الغفلة التكالب علىٰ الدنيا: ..... ٧٠
النعمة مع الإقامة علىٰ المعصية استدراج ونقمة:..... ٧٢
نماذج لأناس تكالبوا علىٰ الدنيا فخسروا الدنيا والآخرة: ..... ٧٤
١- الرحال بن عنفوة: ..... ٧٤
٢- الأعشىٰ بن قيس:..... ٧٥

***

**العلاج من الغفلة ٧٦**
طريق الشفاء من الغفلة:..... ٧٦
التقوىٰ والدعاء علاج للغفلة: ..... ٧٦
تذكر الخاتمة علاج للغفلة: ..... ٧٧
مجالس الذكر علاج للغفلة: ..... ٧٩
أمور نحتاج إلىٰ التفكر فيها:..... ٨٠
التوبة والفرار إلىٰ الله علاج للغفلة:..... ٨٢

***

**الخاتمة نسأل الله حسنها ٨٦**
الفهرس ..... ٨٧